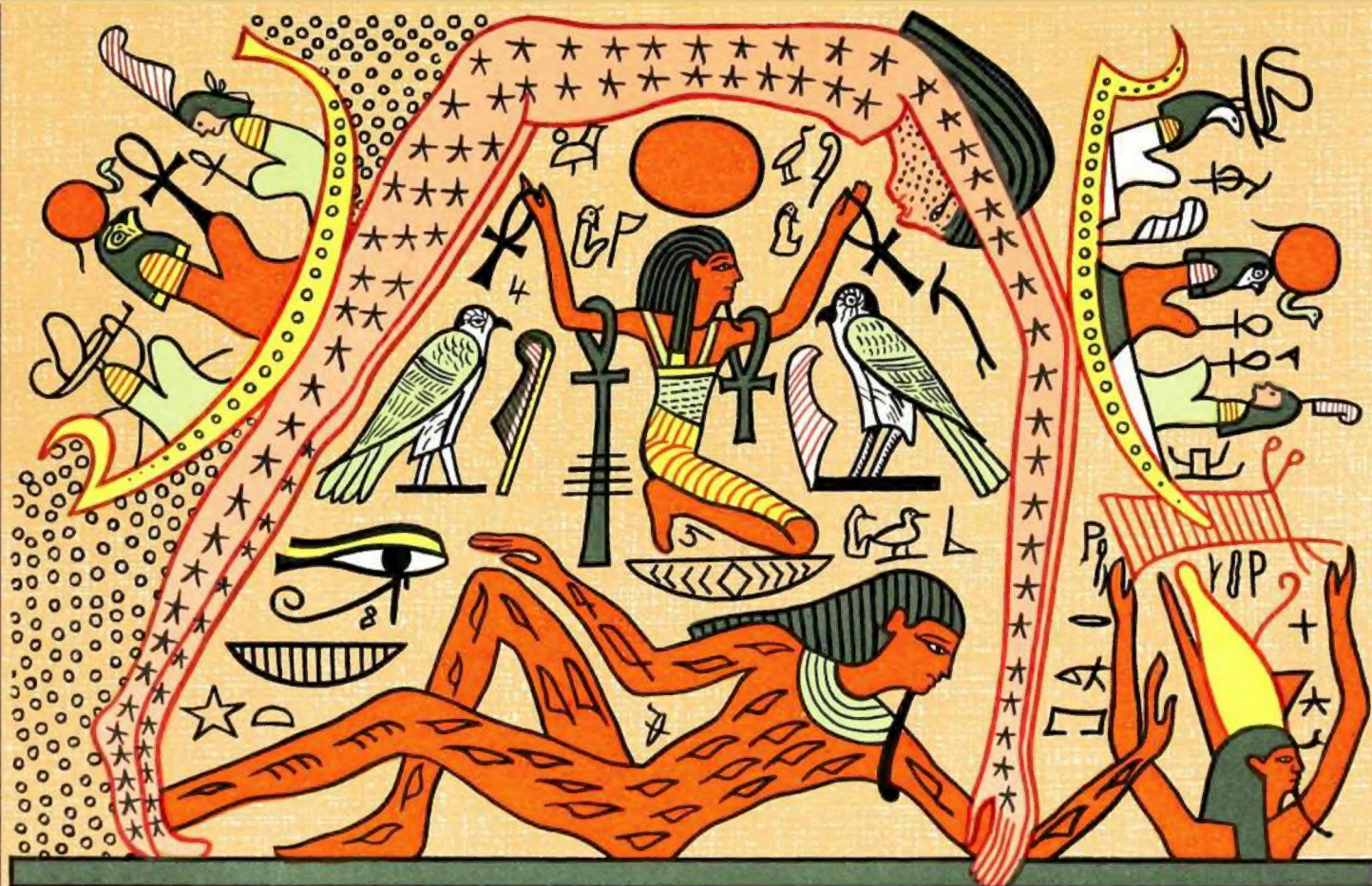


ديانة قدماء المصريين



تأليف

جورج إستيندورف

أستاذ كرسي علوم المصريات بجامعة لبيترج

ترجمة

سليم حسن

ديانة قدماء المصريين

تأليف
الأستاذ استيندورف الألماني

وتعريب

سليم حميد

(الطبعة الأولى)

سنة ١٩٢٣

مطبعة المعارف شارع النجاة بمصر

الى استاذى العظيم

جولنشيف

أهدى ترجمة هذا الكتاب

سَمِ الدِّينِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعرب

وبعد فقد اهتمت أم العالم المتبددين منذ قرنين بكشف النقاب عن مدينة قدماء المصريين ، وآثارهم وتبارى علماءهم وأغنيائهم وحكوماتهم في هذا المضمار ، وأوقف كثير منهم حياته وأمواله على تعرف أسرار هذه المدينة ودروسها واقتناء آثارها . حتى أنك لا تكاد تجد من أمهات بلادهم دون أن ترى فيها داراً لآثار المصريين ومدرسة لتعليم لغتهم . كل ذلك كان ولا يزال جارياً في أوروبا وغيرها ، على حين بقي المصريون أنفسهم في سبات عميق وجعل قام بأجدادهم وآثار مدينتهم ، حتى أنهم كانوا يدوسون بنعالهم ويهدمون بماولهم آثار تلك المدينة الخالدة . وهذا ما ساعد الأجانب المتنافسين على حل تلك الألغاز إلى بلادهم ، فزينت قصورهم وملأت دور قحفهم

يبدأ أنه في هذا العصر جيت في مصر نسمة أرية هي بلا ريب اجدى غار النهضة القومية التي بهرت العالم . فقد أخذ المصريون أبناء أولئك العظماء يعرفون حقيقة أجدادهم الذين عمروا أديم وادى النيل منذ آلاف السنين ، وأسسا فيه أول مدينة في التاريخ البشرى سطع نورها على العالم فاقبست منه الأجيال الفائرة ونسجت على منوالها الأم الحاضرة . فلا غرابة أن رجع أبناء النيل إلى الانقياس إلى جنتيتهم الخالدة ، وأصبحوا يرون الفخر كل الفخر في أنهم مصريون بعد أن كانوا لا يعرفون إلا أنهم « أبناء عرب » أو « مسلمون »

لقد قت بترجمة معظم هذا الكتاب منذ سنتين ، ولكن لم تُنح الفرصة وقتئذ لانجاءه ونشره . فلما نما شعور الوطنية القومية وعم الفخر بالجنسية المصرية رأيت من

واجبى اذاعة ما تملش القوم اليه من معرفة حالة بلادهم وأجدادهم القدماء . وكان كشف مقبرة توت عنخ آمون ، ذلك الكنز الذى يهر العالم وهز أركانه ، حققت الجماهير من أقاصى البلاد لزيارته وترك أبحار وبصائر كل انسان متطلعة الى معرفة أسرارهِ ، اكبر باحث وأعظم مشجع فى على الإسراع بالظهار هذا الكتاب

قد يتوهم قارئ عنوان الكتاب أنه لن يجد فيه إلا مجرد ديانة واعتقاد غابر . ولكن الباحث فى تاريخ قدماء المصريين يدرك ما كان للديانة والحياة الآخرة من عظيم الأثر فى مدنية القوم وعلومهم وفنونهم وآثارهم وسائر مرافق حياتهم ، لما بين هذه وتلك من وثيق الارتباط . ولولا معتقدات المصريين الدينية لما رأينا تلك المعابد والمقابر والأهرام والقنايل والجثث المحنطة وطرف الفن وغير ذلك

فالطلع على هذا الكتاب لن يقف على معرفة ديانة أجداده القدماء بحسب ، بل أنه سيعرف كل ما تنوق اليه نفسه من أسرار مدنيتهم وبراعتهم الفنية . هذا الى أنه سيفتح على نشوء وتدرج الديانة المصرية وتأثيرها فى فلسفة اليونان والرومان ومدنيتهم ، ويدرك فضلها على ديانات العالم قديماً وحديثاً

لهذا الكتاب قيمة لا يمد له فيها غيره ، فانه مجموع محاضرات ألقاها فى أكثر من ثمانى عشرة جامعة أمريكية ذلك الفيلسوف الألمانى الهند والعالم الأثرى القدير « استيندرف » أستاذ اللغة المصرية فى جامعة لينزج وصاحب المؤلفات القيمة ومدير اكبر مجلة مصرية أثرية فى العالم ، فخازت محاضراته أعظم اقبال

حظيت بمقابلة المؤلف أثناء زيارته لألمانيا فى العام المنصرم ، ورجوته أن يسمح لي بنشر ترجمة كتابه ، ففضل بذلك ، وسره أن يطلع على كتابه أبناء أولئك العظماء الذين صرف حياتهم فى معرفة ودرس تاريخهم وآثارهم ، فلا يسنى ولا يسع كل مصرى إلا اسداء جزيل الشكر

واعيت فى ترجمتى منتهى الدقة ؛ فلم يطوح بى غرام بلاغة العبارات وروعة الأساليب الى خروج عن الأصل زيادة أو قصداً . وقد حرصت كل الحرص عند ترجمة الأناشيد والأغنى القديمة على النص الحرفى دون تصرف أو تبديل ؛ فلاغرو

ان جاء في هذه بعض الفموض . ولكن القارئ اذا رجع بنفسه ، فحاش مع القوم
منذ آلاف السنين ، وغلط حياته وأفكاره بحياتهم وأفكارهم ، سهل عليه إدراك
تلك الأناشيد ونحوها .

وقد اتبعنا الكتاب بصور معظم الآلة وغيرها مما بهم القارئ رؤيته . ولم تكن هذه
في الأصل ، ولكن المؤلف سمح لنا بعد أن تم طبع الكتاب بإضافتها زيادة للإيضاح
والتي أشكر لحضرة الأستاذ عمر الاسكندري افندي ما قام به من مراجعة ترجمة
معظم فصول الكتاب . أما شكرى لصديق الأستاذ منصور سليمان افندي فيعجز
عنه قلبي ، فقد راجع معي الترجمة على الأصل ثانية ، وفتح بعض العبارات العربية ،
وقام بقراءة المسودات أثناء الطبع . وإن لمساعدة هذين الفاضلين اكبر أثر في
إظهار هذا الكتاب في شكله الحالي

ولا يفوتني أن أشكر للسيو مونييه أمين مكتبة دار الآثار المصرية مساعدته في
جمع صور الكتاب ، كما أشكر لحضرة فحبيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف
ومكتبتها ما أظهره من العناية والصبر

هذا واتى لأرجو أن يهتم المصريون بأجدادهم اهتمام العالم الأجنبي بهم ، وأن
يخذوا حذومهم ويقتنوا آثارهم ، حتى يسترجعوا مجدهم ويحلوا المهمل اللاتق بهم ،
فيصبحوا جديزين بالانتساب اليهم ، والله للوفق الى طريق الفلاح

سليم محمد

٢١ ذي القعدة سنة ١٣٤١
٦ يولييه سنة ١٩٢٣

ديانة قدماء المصريين

المحاضرة الاولى

الديانة المصرية في نشأتها الاولى

مرحبا
الديانة المصرية
في تاريخ
العالم

قد لا يكون في تاريخ أمة العالم أجمع أمة تأصلت الديانة فيها وامتزجت بحياة أهلها امتزاجاً عظيماً كالأمة المصرية ؛ ولا تكون مغالين إذا لم نستثنى بنى اسرائيل من بين هاتيك الأمم . لذلك اذا تناولنا البحث في ديانة قدماء المصريين فانما نصف أهم جزء من تاريخ مدينتهم القديمة ؛ وأن لدى الباحث في ديانة المصريين وأساطيرهم وتفصيل عباداتهم وحفلاتهم مورداً فياضاً ومنهلاً سيالاً لا يزال ينمو ويزداد على مر الأيام بالكشوف التي ترى

فن زمن غير بعيد لم يكن بين أيدي الباحثين والمتقنين في هذا الموضوع غير المصادر الأجنبية أي ما نقله إلينا كتاب اليونان الأقدمون أمثال « هيردوت » و « دiodور » و « بلوتارخ » و « حورابلون » مضافاً إلى ما ورد من ذلك في التوراة . أما الآن وقد حلت رموز الكتابة المروغليفية وارتاد الباحثون وادى النيل وقبوا عن آثاره تنقيحاً عليها طوال القرن للنصرم فقد سهل علينا الوصول إلى المصادر الأصلية وصارت أماننا جلية واضحة . أما مقدار هذه المصادر فيخطئه المد إذ لا يكاد يوجد متن واحد في اللغة

مصادر
للديانة
المصرية

المصرية القديمة والآلهة في دجل . فاما من جدار معبد أو مقبرة أو نصب
أو قطعة من الحجر الجيري أو الخزف المكتوب والآلهة والنقوش التي عليها فائدة
تختلف في الأهمية في تفهم معتقدات قدماء المصريين وشعورهم الديني . هذا
عدا ما هو مدون من ذلك في معظم أوراق البردي . وقد لا تكون مبالغين
إذا قررنا أن تسعة أعشار ما حفظته لنا الأيام من النقوش المصرية القديمة
موقوف على أغراض دينية محضة وجل العشر الباقي يشتمل على معلومات لها
دخل بالدين أيضاً

ولكن رغم وفرة المتون الدينية والشروح الخاصة بالآلهة والتماثيل
والمعابد والمقابر التي أبقته يد البلى من عهد قدماء المصريين لا تزال معلوماتنا
عن ديانتهم ضئيلة ، وليس من المستطاع إلى الآن بحث هذا الموضوع بحثاً
علمياً دون أن يضطر الباحث إلى ترك فجوات في بحثه من جهة ، ولا بد له
من جهة أخرى أن يبنى بعض إجاباته على فروض نظرية قديمتي* أو يصيب
فيها . وأسباب هذه الحقيقة الغريبة التي تبدو مذهلة لأول نظره كثيرة جداً
فإنه لا يغرب عن الذهن أن كل الموارد التي بين أيدينا يرجع الفضل في
وصولها إلينا إلى محض المصادفة إذ أن جزءاً كبيراً من مؤلفات القوم الدينية
حفظته لنا الأيام لا لسبب إلا أنه وجد متقولاً على قبر من القبور أو على
ورقة بردي عثر عليها مدفونة مع أحد الموتى في مقبره الأزلي؛ غير أن هناك
كتابات دينية أخرى لا تقل عن تلك في الأهمية قد فقدت لأن المادة لم
تقض بتقلها في نسخ عدة . ومن المحتمل أيضاً أن رمال الصحراء المجردة
لا تزال تضم في جوفها وثائق عدة تنتظر الساعة التي يماط فيها اللثام عنها
وتظهر للعالم . يضاف إلى ذلك أن جل ما وصل إلينا من الوثائق والنقوش

من المعلومات
عن الديانة
وسببها

الأسباب
الخارجية

وورق البردى لم يكتب إلا تبعاً لتقاليد مأتية خاصة ، ويتناول موضوعه الحياة الآخرة ولهذا كانت معلوماتنا عن أحوال الآخرة وقيرة . أما ما كان متداولاً بين الناس من الأساطير العدة الخاصة بالآلهة والتي لا بد أن يكون الكثير منها قد كسب قيمة أدبية جعلته يدون في بطون الكتب فلم يصل إلينا منه إلا التزوير اليسير ؛ بل إن هذا القليل لم يصل إلينا إلا على شكل نطف صغيرة متقطعة . هذا إلى أن الباحثين لم يعثروا على مجموعة شاملة للفلسفة المصرية القديمة وذلك نقص لا ينتظر أن يسعدنا الحظ بسده إذا أن نصيب هذا الباب من التدوين لم يزد على نصيب التاريخ المصري أو السياسة المصرية ولا بد أن نضيف إلى عوامل النقص الخارجية عن دائرة جهودنا عوامل أخرى داخلية . من ذلك أن ما وصل إلينا من الكتابات الدينية يمتزج فيها بعضها مشكلات لم يمكن حلها وستبقى البحوث العلمية عاجزة عن ادراك كنهها زمناً طويلاً . فمن ذلك أن كثيراً من المؤلفات الدينية (ويمكن أن نحصر منها بالتدريج هنا ما يسمى بكتاب اللوقى) لم يصل إلينا منه إلا نسخ قهلت في أزمنة متأخرة . أجل أننا إذا وازناً بين عدة نسخ مختلفة من هذا الكتاب أمكننا في بعض الأحيان أن نرجع بعض عباراته إلى أصلها الحقيقي غير أن الأصول التي بأيدينا كثيراً ما تكون محرفة لدرجة يستحيل معها بما لدينا الآن من الوسائل القليلة بأي تصحيح كان ؛ يضاف إلى ذلك ما يترتب على الباحثين من العقد اللغوية والاشكالات العلمية

الاسباب
الداخلية

فكانت نتيجة ذلك أننا وإن كنا نعرف طائفة عظيمة من أكمة قدماء

* ظهر حديثاً كتاب في الفلسفة المصرية يسمى ندامح فيلسوف مصري ترجمه إلى الإنجليزية
الأشترى الكبير « جردنر »

المصريين اسماً وصورة ونعلم في أى معبد وعلى يد أى كهنة كانوا يعبدون
فاننا لم نقف تماماً على حقيقة كنههم أو مبلغ منزلتهم عند الكهنة ووجهاء
القوم بل لم ننتز على معظم الأساطير التي كانت تدور حول أشخاصهم .
ولكن على الرغم من كل تلك الفجوات في معلوماتنا فان موضوع ديانة قدماء
المصريين فيه من المشوقات الجمة ما يأخذ باللبان ولا غرو فهي ديانة قوم
بلغوا شأواً بعيداً من الحضارة . ديانة تمت وترعت (كسائر مظاهر الحضارة
المصرية) بمنزل عن أى تأثير أجنبي . وقد بقيت ما يقرب من أربعة آلاف
من السنين وهي صاحبة المكانة الأولى من نفوس أمة من أقدم أم العالم
وأعظمها شأناً

موضوع الديانة
مشرق

وقبل أن أتناول البحث في موضوعي الأصلي — وهو شرح ديانة قدماء
المصريين — رأيت من الضروري تمهيداً لا يوضح أطوار تدرج الديانة ونموها
أن أكتب كلمة موجزة عن تاريخ قدماء المصريين أو على الأقل أهم عصور تاريخهم
ولنبداً بتقسيم تاريخ ملوك مصر ناهجين في ذلك نهج مانتون —
وهو كاهن مصري وضع مؤلفاً عن تاريخ مصر باللغة الاغريقية مسترشداً
في هذا الامر بما وصل الى عهده بطريق التواتر جيلاً بعد جيل

قسم مانتون ملوك مصر من عهد ميناء أول ملوك القراعنة الى عهد
الاسكندر الأكبر الى احدى وثلاثين أسرة . وهذا التقسيم ينطبق بوجه
عام على الأمر الملكية المختلفة التي حكمت بالتتابع أو مجتمعة في وادي النيل .
ولتسهيل تحرير الحقائق على وجه عام جرت المادة أن تقسم هذه الأسر الى
عصور أو دول . وأهم هذه الدول ثلاث — الدولة القديمة والدولة الوسطى
والدولة الحديثة . على أنه من أصعب الأمور وضع تواريخ مؤكدة لتمييز أزمنة

هذه الأسر أو مدة حكم كل من ملوكها . ولهذا نكتفي هنا بالتواريخ التفريرية
 فيما يتعلق بالآزمنة الأولى . ولا يغرب عن أذهاننا أن الأرقام التي أوردها
 لم تمتد بصفة قاطعة ، بل قد تكون قابلة للتغير نقصاً أو زيادة بنحو مائة
 سنة أو أكثر ، ولا يمكن اعتبار التواريخ صحيحة محقة إلا عند ابتداء حكم
 الأسرة الثانية عشرة وذلك بفضل الشواهد الفلكية التي ترجع إلى ذلك العهد
 « مصر منحة من النيل » عبارة قام بها هكاته الجغرافي اليوناني وكان
 أول من نقلها عنه هيرودوت ثم ردها بعده آخرون ؛ وهي تم عن كنه أرض
 مصر باختصار ودقة تعبير لا يمكن مجاراتهما

مكانه
 يعرف مصر

ففي المنضية الصحراوية التي تشمل كل الجزء الشمالي الشرقي من القارة
 الأفريقية حفر النيل مجراه من آلاف من السنين عمقاً أحجارها الرملية
 وصخورها الجيرية في حين أن ما كان يرسب من مياهه من القرن صاماً بعد
 عام جعل الجزء الأسفل من هذا الوادي (وهو مصر الأصلية) من أخصب
 بقاع المعمورة

وكان يقطن وادي النيل في الأعصر الأولى المتوغة في القدم زئوج
 أفريقيون ؛ ولم يقتصروا على شمالي الخرطوم الحالية بل كان سكان مصر من
 هذا الجنس أيضاً

وكانت لغة القوم أفريقية الأصل ودياتهم لا تكاد تميز عن الوثنية
 الساذجة التي يدين بها جم غفير من القبائل الأفريقية الحالية . وكان الفلاح
 المصري إذ ذاك يفلح أرضه بنفسه ويشقها بمجراته بعد انخفاض الفيضان
 وكانت الأراضي الرطبة يريف مصر مرعى لعدد وفير من أسراب الماشية
 أما فروع النيل الراكدة المياه والمستنقعات الكثيرة النائية المترامية الأطراف

لغة المصريين
 ودياتهم

ومنازلهم

بالوجهين البحرى والقبلى فكانت تكتنفها الاعشاب الكثيفة من البردى
ويؤثرها عجل البحر والتماحج وطير الماء . وكان المصرى يصل الى تلك البقاع
الموحشة فى زورق من البردى ليصطاد بخطافه ويرشق بنبله حيوان هذه
المستنقعات أو كان يصعد الى قم التلول الصحراوية التى تكتنف حافى الوادى
فيقتص فيها السباع أو الضباع أو بنات آوى

حالة البلاد
المرآة

وفد كانت الحاجة الى طلب القوت سبباً فى تعلم القوم تدرجاً والتهوض
الى مراقى الحضارة ونور العلم؛ فكانت وفرة الماء الذى يفيض على تربة
مصر كل عام داعية لتوزيعه بالتساوى على الحقول . ولتحقيق هذا الغرض
كان لا بد من إقامة السدود وحفر الترع وإنشاء الخللجان وبناء الجسور .
وكذلك كان لا بد من تجفيف المستنقعات لتحويلها الى أراض زراعية . كل
هذه الجهودات يتخذ على الفرد القيام بها وحده؛ لذلك كان لازماً على السكان
أن ينضموا ويؤلفوا من أنفسهم وحدات كبيرة تلقى كل منها مقابلد أمرها
فى يد رئيس برأسها . ومن ذلك تكونت أمارات صغيرة يحكمها رؤساء صفار
تلك حتماً كانت الدرجة التى وصل إليها المصريون الأقدمون من التقدم

والسياسة

السياسى والعمرانى حينما نزل على البلاد سيل من البدو منحدر من بلاد
العرب مهبط أجداد الجنس السامى عن طريق برزخ السويس؛ فاجتاحوا
البلاد واستولوا عليها دفعة واحدة كما وقع فى القتح الاسلامى . ولم يكن
للجنس الافريقى قبل مقاومة الاسيويين بل أنهم انحنوا لثة الغزاة لثة لهم
وان كانوا قد أكسبوها مسحة من لغتهم الاصلية . بيد أن غزاة العرب

الفتح السامى خضعوا عن طيب خاطر الى التمدن المصرى الذى كان بلا مراء يفوق مدنياتهم
ولم يمض طويل زمن حتى اندمج القاهر فى المهور وصار الثريقان أمة واحدة

ولم يبق لنا الايام شيئاً يدلنا على هذا الفتح السامى الذى حدث قبل انبثاق آثاره فى اللغة
فجر التاريخ وليس لدينا ما يؤيد صحته سوى القرابة اللغوية وهى التى اعتمدنا
عليها فى تخيل تلك الحوادث التى ذكرناها باختصار

وفى فجر التاريخ تكوّن من الامارات المختلفة التى نشأت فى البلاد
المصرية مملكتان عظيمتان وهما المملكة المصرية السفلى وتشمل الاراضى
الشمالية وهى ما يقابل الدلتا الآن والمملكة المصرية العليا « الجنوب » وتمتد
من جوار مدينة القاهرة الحالية الى جنادل أسوان . وكانت حاضرة الدلتا
(الأرض الشمالية) بلدة « بهدت »* وكان موقعها مدينة دمنهور الحالية أما
ملك الجنوب فكان يقطع فى « ابص » على ضفة النيل الغربية شمالى
الأقصر وعلى مقربة منها . وقد ظلت هاتان المملكتان جنباً لجنب أجيالاً
مستقلة احدهما عن الاخرى الى أن اندمجتا احدهما فى الأخرى وتكونت
منهما دولة واحدة . وقد حدث ذلك الاندماج عند ما غزت مصر السفلى
مصر العليا . ومن المحتمل ان عاصمة الدولة الجديدة التى تألفت منهما كانت
بلدة « هليوبوليس » (عين شمس) الواقعة على حدود تينك الولايتين .
وتعرف هذه البلدة عند قدماء المصريين باسم « آون » وقد أصبحت فى الوقت
نفسه مهبط العلم والعرفان فى طول البلاد وعرضها

ويتعذر علينا أن نقرر ولو على وجه التقريب طول المدة التى استمرها
اتحاد القطرين حتى تكونت منهما دولة واحدة تحت حكم ملوك الدلتا .
وغاية ما نعلم ان أوامر هذا الاتحاد أخذت تحل عقدها تدريجاً فأفضى ذلك
الى انقسام الدولة ثانية الى ولايتين الوجه البحرى والوجه القبلى . عند ذلك

* المعروف الآن عند علماء اللغة المصرية ان بلدة بهدت هى ادفو الحالية

تحولت عاصمة الشمال (الوجه البحرى) الى « بتو » الواقعة فى منافع الدلتا على مقربة من ساحل البحر الأبيض المتوسط . واتخذ ملوك الوجه القبلى حاضرتهم فى الجنوب الاقصى فى مدينة « نخب » « الكاب » وهى التى أطلق عليها اليونان فيما بعد اسم Eiliethyiopolis والظاهر أنه بعد هذا الانفصال لم تكن العلاقة بين ملوك « نخب » « الكاب » وبين ملوك بتو على أحسن ما يكون من الوثام والصداقة فقد أخذت نار الحرب يتدلع لحيها بين أهل القطرين من حين الى آخر فكان أهل الصعيد يلقون الرعب والفرع فى قلوب أهل الدلتا وخاصة فى مدينة « بتو » ومن هذه المشاهد خراج أهل الصعيد ولواء النصر معقود على جباههم فأخضعوا الدلتا بحمد السيف وبذلك انضم القطران ثانية وكونا دولة واحدة جديدة

وقد لا نكون ببيدين من الحقيقة اذا غرونا أن « مينا » الذى قال مؤرخو اليونان أنه أول ملك معروف من بنى البشر حكم مصر متحدة هو الملك الذى قام بتوحيد القطرين ثانية سنة ٣٣١٥ قبل الميلاد ؛ غير أن ما وصل الينا من المعلومات عن مينا وأخلافه من ملوك الأسرتين الأولى والثانية (٣٣١٥ — ٢٨٩٥ ق . م .) قليل جداً . وكل ما نعلمه أنه أسس على الحد الفاصل بين الأراضين (الدلتا والصعيد) « الجدران البيضاء » (منف) وهى قلعة شيدتها لتلقى الرعب والفرع فى قلوب أهل الدلتا للمقهورين . وقد اتخذ ملوك هاتين الأسرتين مقرهم من مدينة طينة الواقعة على مسافة قريبة من العراة المدفونة حيث كشفت قبورهم الساذجة فى ختام القرن المنصرم

وباستيلاء ملوك الأسرة الثالثة (٢٨٩٥ — ٢٨٤٠ ق . م) على صوبجان الملك تحولت العاصمة الى منف أو منفيس وتعتبر هذه الأسرة بداية الدولة

انضم
القطران ثانية

ضم القطرين
ثانية

مينا أول
ملوك مصر

التقدمة التي استمرت الى نهاية الأسرة السادسة التي قدومنا مدة حكمها من (٢٨٤٠ - ٢٣٦٠ ق . م) . وهذا العصر من أعظم عصور مصر بلنت فيه البلاد الذروة في الحضارة والفنون؛ وفيه ابتدأ بناء الاهرام العظيمة وبخاصة الدولة القديمة « اهرام الجيزة » التي تنسب الى الثلاثة الملوك الشهيرة الذين تربوا على عرش مصر في خلال الأسرة الرابعة وهم : خوفو وخفرع ومنقرع؛ ولهذا السبب اطلق على عهد الدولة القديمة « عصر بناء الأهرام » ولم تنكد أيام الأسرة السادسة تنتهي حتى انفرط عقد نظام الدولة المصرية، ففشت الفوضى في داخل البلاد، وساد سوء النظام في أرجائها، وبقيت الحال كذلك حتى اهلل أريكة الملك ملوك الأسرة الحادية عشرة؛ وم من سلالة أسرة نبتت في طيبة في الوجه القبلي وقد تمكنوا من توحيد كل البلاد وتوطيد الحكومة والنظام (٢١٦٠ - ٢٠٠٠ ق . م) .

ومنذ حكم ملوك الأسرة الثانية عشرة الذين كانوا يسمنون إما اينمحمبت وإما اسرتسن، ابتدأ عصر فلاح وتقدم في تاريخ البلاد يعرف بهذا الدولة الوسطى، وتعتبر مدة حكم هذه الدولة من (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق . م) . وقد فتح ملوك هذا العصر الزاهر أعالي وادي النيل المعروفة ببلاد النوبة وقاموا بأعمال عظيمة كبناء المعبرته « قصر التيه » الشهير بالقيوم؛ وكذلك بنت في عهدهم الآداب وازدهت لدرجة جعلت أخلاف الدولة الوسطى من الأجيال المصرية يعدون عصرها العصر الذهبي في الكتابة والتأليف .

ثم أناخت على البلاد فن داخلية جديدة كانت سبباً في انحلال الدولة الوسطى ، والقضاء عليها قضاء مشينا . وقد حدث وقتئذ جادث على جانب عظيم من الأهمية من الوجهتين الدينية والسياسية . فلك هو اجتياح البلاد

الدولة
الوسطى

«المكسوس» ^{عهد} قبائل من البدو الساميين، اقتضوا عليها من طريق الصحراء الشامية بقيادة المكسوس أو ملوك الرعاة؛ وقد انتهزوا فرصة تزعزع الحالة السياسية في مصر واستولوا عليها بلا ضرب ولا طعن. وقد بقوا أصحاب السيادة فيها قرناً من الزمان من (١٦٨٠ - ١٥٨٠ ق. م.).

وقد كان النهوض بالبلاد ثانية وطرد هؤلاء الغزاة الآسيويين بعد شجار عنيف احتدم وطيله سنين عدة على يد أمراء طيبة. ومن هذه الآونة افتتح عصر محمد جديد تمثلت فيه عظمة مصر وقوة بطشها، وهو ما يسمى عند المؤرخين بالدولة الحديثة

ويتبدئ هذا العصر بالأسرة الثانية عشرة، وينتهي بالأسرة العشرين، ويمتد من (١٨٨٠ إلى ١١٠٠ ق. م.). وفيه نرى ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام، أمثال تحتمس وامنحوتب، يهودون الجيوش إلى آسيا ويسوقونها في فتوحهم حتى يوردوها شواطئ الفرات؛ وأصبحت في عهدهم كل سوريا ولاية مصرية

ومن ثم أخذت الملائق المثينة تنمو بين مصر وأمم الشرق المتمدية وبخاصة آشور وبابل، كما توطدت بينها وبين جزر البحر الأبيض المتوسط؛ وقد كان لهذا الاختلاط أثر يبين في حياة الأمة الاجتماعية والسياسية والفنية. وفي عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين تسموا «بسيئي» و«رمسيس» فقدت مصر معظم ما لها من الجاه كدولة قوية، وبالرغم من الانتصارات الحربية المدة التي أحرزها راعامة الأسرة العشرين، لم يكن في مقدورهم إيقاف تيار الانحلال. وقد كان من جراء ذلك أن قام رئيس كهنة آمون في مدينة طيبة (الأقصر) وتربع على أريكة الملك. على أن مدة حكم الكهنة لم تدم

طرد
المكسوس

الدولة
الحديثة

الثلاثة بين
مصر والأمم
الأخرى

عصر
الراعامة

طويلاً، إذ انتزع منهم رؤساء الجيش من جنود اللويين المرتقة صولجان الملك، وسكنوا أصحاب القوة والسلطان في البلاد نحو قرن من الزمان. ثم أخذت البلاد مرة أخرى في الانحطاط تدريجاً، وانقسمت إلى أمارات صغيرة. ثم قضى على هذه الولايات ملوك النوبة الذين انحدروا من الجنوب وغزوا وادي النيل، فدان لسلطانهم إلى أن أجلاهم عنه ملوك آشور العظام، فصارت مصر مدة من الزمان ولاية آشورية. ويثير عصر تسلط الأجانب من اللويين والنوبيين والأشوريين، أي من الأسرة الثانية والعشرين إلى نهاية الخامسة والعشرين، من أظلم عصور التاريخ المصري القديم وأنكدتها

الاسم
التي حكمت
مصر

وفي النهاية صنعت الفرص لبسيتيك أحد سلاسل القراصة، غلق نهر الحكم الآشوري، وقضى على حكومات الأمراء الصغار، وأعاد إلى مصر وحدتها واتحادها. وفي أيامه وأيام أخلافه من فراعنة الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ - ٥٢٥ ق. م.) أشرق على البلاد عهد رخاء وتقدم؛ فتمت التجارة وانتشرت بفضل الملائق التي وطدت دعائمها بين مصر وبلاد اليونان، ونهضت الفنون أيضاً نهضة جديدة. ويرجع عهد بندر بدور هذه النهضة إلى عصر ملوك النوبة؛ إذ بحث فيهم ورعهم الديني حب تقليد المخازج المصرية في عهدنا الأدبي، وهو عهد الدولة القديمة؛ ولم تقف هذه الروح عند الفنون بل ظهرت أيضاً في عبادة الآلهة والملوك الأول وفي الآداب والكتابة وألقاب رجال الدولة. فوجد القوم أغربوا في كل ذلك بتقليد ما كان متبعاً في عهد الدولتين الوسطى والقديمة. ولا غربة إذا أطلق على عهد الأسرة السادسة والعشرين عصر « النهضة المصرية »

عصر
النهضة
المصرية

ولكن واحسرتاه، فإن هذه النهضة لم تدم طويلاً، إذ في عام ٥٢٥ ق. م

الفتح
الفارسي

فتح « قيز » ملك الفرس البلاد المصرية وقضى على استقلالها القضاء المبرم ،
فبقيت ولاية فارسية الى عام ٣٣٧ ق . م . وهو العام الذي سقطت فيه مصر
في يد الاسكندر الأكبر . ولما تمزقت دولة هذا الفاتح العظيم بعد أن
عاجله للنون وهو في شرح الشباب ، كانت مصر من نصيب بطليموس بن
لاغوس أحد قواد الاسكندر ، وأخلافه من بعده . وتعرف هذه الأسرة
في التاريخ بالبطالسة « أو لجيده » . وبقي وادى النيل خلال الثلاثة القرون
التي حكموها فيه مركزا لدولة زاهرة زاوية الى أن انشبت الفتن الداخلية
أظفارها به واحتدمت نار المشاحنات بين مصر والرومان ، قاذى ذلك بعد واقعة
اكتيوم عام (٣١ ق . م .) الى سقوط البلاد في يد « أغسطس » امبراطور
الرومان . وقد ظهر كل من ملوك البطالسة وملوك رومية بمظهر أخلاف
للفراعنة ، وحافظوا في الظاهر على معالم الحكومة المصرية القديمة ، فاحترموا
معتقدات رعاياهم المصريين الدينية ، بل أنهم اشتركوا في تشييد المعابد الضخمة .
يبد أن مواهب القوم العقلية كانت قد قضى عليها وانحمت الحياة القومية
من البلاد ؛ فلم يكن هناك غائق يذكر يحول بين دخول الدين المسيحي في
أرض الفراعنة وانتشاره في أرجائها

عصر
البطالسة

عهد
الرومان

من أراد أن يقف على كنه أفكار قدماء المصريين وشعورهم الديني
في العصور التاريخية وجب عليه أولاً أن يرجع البصر كره ليتلمس شيئاً عن
عبادة أولئك القوم في عصورهم المظلمة قبل بزوغ العصر التاريخي وقت أن
كانت الأرواح (الوجه القبلي والوجه البحري) لا تزالان جارتين مستقلتين
الواحدة عن الأخرى ، ولم تكن بعد كل مصر متحدة مكونة لدولة واحدة .
لما غزا الساميون البلاد أخذوا عن الأفريقيين سكان مصر مدنياتهم الراقية

ثانيه
الفتح
الساكن
في مصر

وتدينوا في الوقت عينه بديانتهم الساذجة . ولربما خطر ببالك أن تتساءل هل احتفظ أولئك القوم بمعبوداتهم التي كانوا يتمبدون بها في الصحراء مسقط رأسهم ، وهل راق بعض هذه المعبودات في أعين المصريين المقيمين ؟ أو بالاختصار ، هل كان للساميين أثر في معتقدات المصريين الأولى ؟ ان هذا السؤال يستدعي ان نجيب عليه اجابة علمية شافية . حقا انه من السهل جدا أن يتلاعب الباحث في أصول الكلمات فيتخذ من هذه الاعتبارات اللغوية حجة للقول بأن بعض الآلهة المصرية سامية المنشأ ، أو أن يستقط من مجموعة المعبودات المصرية ما لا ينطبق على الفرض الذي يصوره له الخيال . غير ان أمثال هذه الفروض لا تحتل صحتها لما فيها من الجرأة ؟ ولذا نرى من الصواب أن نحجم ولو مؤقتا عن الخوض في غمار التخيلات والفروض التي تميز وجود أصل أسبوي أو سامي في أي عنصر من عناصر الديانة المصرية القديمة في عهدها الأول قبل انبثاق فجر التاريخ

وغاية ما يمكن أن يستدبه من الحقائق الثابتة في هذا الصدد هو ان مصر في عهدها الأول لم تكن فيها وحدة دينية ، فكان في كل مدينة وفي كل بلدة وقرية معبودها الخاص الذي يحمي حوزتها واليه كانت ترفع السكان أكف الضراعة إذا ذهم خطر ، فيلتمسون معونته ، ويتنخرون رضاه بالضحايا وإقامة الصلوات ، لاعتمادهم ان سعادة المجتمع وشقوته في يديه ، فكان هو رب المقاطعة « أو اله المدينة » كما ذكر على النقوش . والحقيقة أن مثله كان كمثل الحاكم الديني متسلطا على رقاب كل من القبط مقابلد أمورهم بيده : يحمي حياتهم ويحفظ سلمهم ويدفع عن ماشيتهم كل طارئ أجنبي مفاجئ . وكان رضاه رحمة على الناس وغضبه نقمة ومثقلة لهم

عبادة
اله في
كل مقاطعة

وقد بلغ من شدة ارتباط هذه الآلهة بمقاطعاتها ان بعضها قد اسمه
 انخاص وصار يسمى فقط باسم الجهة التي يسيطر عليها ويظهر بطشه فيها.
 فمن ذلك ان اله ادفو المحلي كان يذكر باسم « اله ادفو » والهة الكاب
 كانت تدعى « سيدة الكاب » . على أنه مما لا ريب فيه ان العادة جرت
 بأن يسمى كل اله على باسم خاص ؛ فكان اله متفيس مثلاً يدعى « فتاح » ،
 واله مقاطعة الشلال القريبة من الغيلة اسمه « خنم » ، واله « امبص » القرية
 من نقادة « بالوجه القبلى » اسمه « سوتخ » أو « ست » ، واله « فقط » الواقعة
 على طريق القوافل من النيل الى البحر الأحمر اسمه « من » ، ومعبود الثنويم فى
 اقليم بحيرة موريس اسمه « سبتك » . ومن بين الالهات تذكر الالهة
 « حاقخور » سيدة دندره ، والمهودة « نيت » الهة سايس (صالحجر) فى
 الدلتا ، و « سغمت » الهة إحدى ضواحي منف . وهذا قليل من كثير ، اذ من
 المستحيل ان تعدد كل المبودات المحلية ؛ لأن هذا يحتم علينا ان نسردها كلها
 كل الأماكن المصرية القديمة ، وذلك يعدنا كثيراً عن غرضنا الأصلي
 أما مدلول أسماء هذه الآلهة فانه يصعب علينا جداً أن نقرر عنه شيئاً
 باليقين ، اللهم الا أسماء قليلة مثل لفظة « سغمت » (الهة منف) التى نعلم
 أن معناها « القوة » . والحقيقة أن أصول هذه الكلمات ليست معلومة
 لدينا فى أغلب الأحوال ؛ فاذا قيل مثلاً ان اسم اله « فتاح » فيه علاقة
 لفظية بالكلمة العبرية « فتاح » التى معناها يفتح أو يفتح وانه يصح لهذا
 الاعتبار أن يسمى « بالناحت » أو « الصانع » ، أو اذا قرر اسم المعبود حوريس
 على حسب اللغة المصرية القديمة بمعنى « الواحد العالى أو الواحد السماوى » ،
 فان كل ذلك لا يتركز على أساس متين ولا يخرج عن دائرة الظن والتخمين ؛

الاله يسمى
باسم المقاطعة

أسماء
بعض الالهة

أسماء
بعض الالهات

مدلول
أسماء الالهة

يضاف الى ذلك انه كان لعلماء اللاهوت عند المصريين ولع بالانكباب على درس أصول هذه الكلمات ، فتلاعبوا بألفاظها حتى تحايلا على تفسير أسماء الآلهة ووضع صفات لها ؛ فمثلاً لفظة « امون » التي كانت تطلق على مبدؤ الدولة الحديثة فسروها « بالواحد الخفي » أو « الواحد السرى » باعتبار ان تلك اللفظة من فعل « امن » في اللغة المصرية القديمة الذي معناه « يخفى » . وروى بلوتارخ^١ للؤرخ اليوناني في كتابه دى أسيد^٢ De Iside « ان لفظة امون على ما جاء في مَنبَتُون معناها « ما خفى » أو « الخفاء » . وبما لا جدال فيه ان علماء اللاهوت كان في ذهنهم اله يدعون به في السر ، ويسمى عندم الاله المكنون اسمه ؛ غير ان المعنى الأصلي لكلمة « امون » لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون كما فسره هؤلاء العلماء

وكانت مهمة كل مبدؤ من هذه المعبودات المحلية تقتصر في الأصل في حماية بلده ، فلا سلطان له خارج حدودها . بيد أننا نجد أن طائفة كبيرة من هذه المعبودات كان لها مزايا خاصة ما لبثت أن مدت نفوذها وراء مناطقها ، مما يدل على انتشار الآراء الدينية في تلك المصور السحيقة . مثال ذلك ان المبدؤ امون اله طيبة كان أيضاً اله الخصب والتماء في مصر كلها ، والمبدؤ « من » اله « قِطْط » الذي يمثّل عند اليونان الأقدمين بالاله « بان » كان من مميزات حماية اسراب الماشية والسبل والقوافل وبخاصة طريق الصحراء الذي يبتدىء من « قِطْط » محترقاً الجبال والصحارى الى البحر الأحمر . وكذلك المعبودة « سخمت » المظلمة اله منف كانت تعتبر الهة الحرب الخفية التي تنكل بالمدو وتسحقه . وكذلك الالهة سائحور مبدؤة « دنثرة » كانت تمثل الهة الحب والفرح . وفي كثير من الأحيان عُزيت لهذه

تنوّد المبدؤ
للحل

الآلهة المحلية علاقات بقوى الطبيعة وبخاصة الأجرام السماوية ؛ فالمعبود نحوت
 اله الأثيمونين « هر مؤ بوليس » وهو الذي مثله اليونان بمعبودهم « هر ميس »
 كان يعتبر اله القمر وقد ظهر بهذا المظهر في متون الاهرام . وكان الاعتقاد
 السائد عند الاقدمين انه هو الذي حدد فصول السنة ووضع نظام الطبيعة ،
 ولهذا اعتبر أيضاً مخترع الكتابة واللغة وخالق المواسم والمقاييس واله العلم والعرفان
 وأعظم من ذلك أنه كان بين معبودات قدماء المصريين المحلية عدد
 وفير ينسب الى أعظم الأجرام السماوية اضافة وتعنى بذلك كوكب الشمس ،
 فكان كل من هذه المعبودات في الأزمنة الأولى يمثل الشمس في شكل
 خاص به ؛ ولكن تأثير ذلك في تطور الديانة المصرية له شأن آخر في حالة
 المعبود « حور » أو « حوريس » الذي يعد من أم الآلهة عبادة وأهمها من
 الوجهة القومية المصرية ؛ اذ بالرغم من أنه كان الإله المحلى لكثير من المدن
 كان يبعد في طول البلاد وعرضها ممثلاً لله الشمس الأعظم ؛ وسنعود قريباً
 الى الكلام في هذا الموضوع بأسهاب . وكان هناك عبداً ما ذكرنا من الآلهة
 المحلية المقام عند ليس بالقليل من الآلهة الضمائر ومن الملائكة والشياطين
 الذين كانوا أهل بطشاً . ولما كان في وسعهم أن ينفخوا القوم أو يلحقوا بهم
 الأذى في أحوال خاصة كان الناس يسمون لاستغلاب رضام وعطفهم .
 فبئس كان يدعى بعض الآلهات الشقيقات اللاتي كن يعددن يد المساعدة
 للنساء عند الخاض ؛ اذ كان القوم يستقدون أن في أيديهن تسهيل الوضع
 أو تخفيفه ؛ كذلك كانوا يستقدون وجود ملائكة تأتي للطفل الوليد في مهبه
 لتقرر مصيره . وكان المعبود الصغير « يس » التريب الخلق من أكثر هذه

الآلهة التي
 تنسب الى
 الشمس

الملائكة
 والشياطين

المعبودات محبة ؛ فكان القوم يعتقدون أنه أتى الى مصر من بلاد « بُلْتُ »
(الصومال) بلاد الروائح العطرية ؛ ولذلك كانت ميزته حماية الروائح الزكية
وألوان زينة الوجه والمرايا وكل ما يلزم للتأنق في الرى

واذ كان للاله المحلى قوة تفوق قوة البشر كان له تأثير محدود في حياة
بنى الانسان ويقدمون له في مقابله العطايا والقرابين . وكان هذا الاله في
اعتقاد القوم يظهر لعباده في شكل واضح جلى ، فكما أن روح الانسان
تأوى جسده الظاهر كذلك يتخذ الاله له مأوى خاصاً يكون مظهره له . وقد
جرت العادة أن يتخذ الاله سكناً له الأشجار والأشجار والعمد والحيوانات .
فمثلاً اله مدينة « دودو » التي عرفت باسم أبى صير فيما بعد كان يأوى قطعة
مظهر
الالهة
الحية
خشب ساذجة ؛ وكذلك اله الطرق « من » في مدينة يَفْعَة كان يظهر اما على
شكل عصا أو على شكل تل من الأحجار . والأغرب أن هذا التل كان
يوضع بجانب الطريق ليضيف اليه كل سابل حجراً جديداً كما نشاهد عند
البدو الآن . وكانت المعبودة « حاتور » تسكن شجرة الجيز كما كانت الهة
أخرى مجهولة الاسم تأوى الى شجرة الزيتون . على أنه كان أكثر شيوعاً
مما ذكر أن يتصور الانسان الاله في هيئة حيوان ، بذلك على ذلك أن اله
الماء « سبك » الذى كان يعبد في جهة القيوم كان يظهر على شكل تمساح ؛
وظهر معبود مندريس لعباده في شكل جدى ، وظهر « غنم » معبود
مقاطعة الشلال في شكل تيس ، وظهر « آمون » معبود طيبة في شكل كبش
يقرون ملتوية تغطي أذنيه ؛ وبجلى « وبوات » اله أسيوط في شكل ذئب
وكان « تحوت » معبود بلدة هرموبوليس (الأشمونين) يظهر في هيئة فرد
أو أبو قردان ؛ وكثير من الآلهة كان يظهر في هيئة باشق كاله الشمس

« حوريس » والاله القمر « خنس » معبود طيبة والاله الحرب « متو » الذى كان يعبد فى طيبة وفى « هرمنتس » ؛ أما الالهات المختلفة فكان يظهرن فى هيئة القطط واللبوات والعقبان والحيات . فكانت « سخمت » الهة منف و « بخت » الهة ببي حسن تظهر كل منهما فى شكل لبوة كما كانت الهة بوسطة تظهر فى ثوب قطة و « حانخور » الهة دندرة فى شكل بقرة ، وكانت « موت » الهة طيبة و « تحبت » الهة الكاب تمثلان فى شكل انثى العقاب . أما « بوتو » معبود الوجه البحرى فالتخذت الحية شكلاً لها وان تقمصت الفار أحياناً . ومما سبق يتضح جلياً أن الموضوع الذى سنتناول البحث فيه هو موضوع ديانة وثنية تامة النمو والتطور

مظاهر
الالهات
الطبية

وقد يتبادر للذهن لأول وهلة ان هذه التخييلات الساذجة عن الالهة غريبة فى بابها ولا تليق بأمة متحضرة ، بل قد وقع بالفعل أن اليونان والرومان لما اختلطوا بالمصريين لأول مرة هزوا رموسهم . استهزأ بهذه العقائد والتخييلات ، غير أن أشباه هذه التخييلات لم تعدم اضرابها بين بعض الأمم للتمدنية الأخرى كالساميين واليونان الأقدمين أنفسهم ؛ فإن الساميين كما نعلم كانوا يبدون الآلهة فى شكل الأشجار والأحجار والعمد والحيوانات ؛ كذلك نعرف عن اليونان أن « هرميس » اله المراعى والطرق كان يظهر عندهم فى شكل كومة من الأحجار ، كما كان يظهر مثيله المعبود « من » عند قدماء المصريين . وكان الاله « وبوات » يجلى فى شكل ذئب والاله « ارتيمس » فى شكل « دب » والالهة « هيرا » زوج الاله « زوس » فى ثوب بقرة . وإذا علمنا أن الطائر المقدس للمعبود « زوس » هو النسر والمعبودة « أفرديتي » هو الحمامة والالهة « أثينا » هو « البومة » فإن ذلك لا شك يدل على أن هذه

التشابه
بين الهة
تساه
المصريين
والساميين
واليونان

المعبودات كانت في الأصل تتجلى لمبأدها في صور هذه الحيوانات. وقد خطت هذه الوثنية خطوة الى الامام في عهد الاسرة الثانية، اذ بدأ قدماء المصريين يمثلون معبوداتهم في شكل انسان؛ فقد أخذ الاله يظهر بجسم انسان ورأس الحيوان الذي يأوى اليه، وكان يرتدى الملابس التي كان يرتديها المصريون أنفسهم وهي عبارة عن قميص قصير مدلى خلفه ذيل حيوان اسوة بأذنيه ^{الاله في شكل انسان} برأس حيوان الملوك الأول. وكذلك كان يحمل عنواناً على قوته شيئاً وصولجاناً. أما الالهة فكانت تحمل في يدها ساقاً طويلاً من نبات البردي

وقد كان لهذا الانقلاب أثر ظاهر في تلك الوثنية القديمة، فتحولت الأوثان المقدسة الى أصنام ذات صور بشرية وذلك يجعل الوثد يظهر في شكل جسم مزمل بالأربطة. ولا يبعد أن تكون صورة المعبود « من » نشأت من هذه الفكرة؛ بل ربما صح ذلك أيضاً في « فتاح » الاله منف. وقد حدث مثل ذلك الانقلاب حتى في الآلهة التي كانت من بادى أمرها تظهر في شكل حيوانات، غير أن رأس المعبود بدلاً من أن تكون رأس انسان بقيت رأس الحيوان المقدس لدى هذا الاله؛ فكان « سبك » يمثل بانسان رأسه رأس تمساح، والاله « نحوت » يمثل بجسم انسان ورأس (أبو فردان)، ومعبودات أخرى كانت تمثل بجسم انسان ورأس باشق. وكانت المعبودة « سخمت » تظهر بجسم امرأة ورأس لبؤة والالهة « حقت » بجسم امرأة ورأس صندقة. ومهما ظهرت أمامنا هذه الأشكال بمظهر السخافة وخبرجت في نظرنا عن حد المعقول، فإن الانسان لا بد أن يعترف بأن أهل الفن من المصريين أظهروا في صنع التماثيل وعمل النقوش البارزة كفاءة فنية ومقدرة نادرة في تركيب رأس الحيوان على جسم الانسان. ومن وقتئذ لم يتزعج

مباراة
المصريين
في صنع
التماثيل

المصريون عن معتقداتهم القديمة في معبوداتهم فيد شعرة، بل ظلوا يمثلونها في أشكالها الوثنية الى أن انصحت من العالم جملة

وفضلاً عن هذه الآلهة الحلية التي كان يتخيلها المصريون — في ثوب حيوانات، كانت هناك حيوانات أخرى تعبد على أنها آلهة في ذاتها، ولها أماكن خاصة تقديس فيها، وتوقفت في ذلك الحيوانات التي كانت تسترعى أعجاب الفلاح المصري بما لها من القوة التي تفوق قوة البشر، فنحنس بالذكر منها اثنين أخذ الأفديمون يعبدونهما من أقدم أزمنتهن وظلوا كذلك الى آخر عهدهم؛ ونمى بذلك المعجل «منفيس» المقدس آله هليوبوليس والمعجل «اييس» معبود منف. وقد روى المصريون أنب فانيهما (المعجل اييس) نشأ من قبضة من نور نزلت من السماء في رحم بقرة، فحملته ثم وضعت ولم تحمل بعده قط. ومن مميزات هذا المعجل أنه أسود اللون مشوب بنقط بيضاء، وعلى جبهته مثلث أبيض، وفي جانبه الأيمن هلال، وكان يغطي ظهره عادة برداء أحمر. وقد جد السكينة بتخيلاتهم وإبحاثهم اللاهوتية لوضع رابطة بين هذا المعجل للمجل وبين «فتاح» معبود مدينة منف المحلي. فقالوا ان المعجل هو ابن فتاح، أو كما كانوا يعبرون عنه بلقتهم الدينية أنه مكرر حي من الإله فتاح. على أننى في كل ما تقدم قد آثرت البحث في الظواهر الفردية في الديانة المصرية القديمة، وبيئت أن تلك الديانة كانت قائمة في الأصل على وجود معبود لكل جهة هو الساهر على حمايتها. بيد أنه كان عند المصريين بعض عقائد دينية مشتركة بين جميع الشعب، فهي إرث القوم العقلي يشتركون فيها كما يشترك كل مصري في اللغة التي كانوا يخاطبون بها. فمن ذلك أنه بالرغم من كل الخلافات السياسية، كان الشعب المصري على بكرة أبيه يعتقد وجود كائنات فوق البشر تتجلى في قوى

المجل
اييس

الطبيعة . ومن بين هذه الآلهة «حوريس» إله الشمس ، فقد كان للمصريون
أجمعون تخيلونه في صورة باشق له ريش زاه يحلق به في السماء ، فيفيض من نوره
على العالم . غير أن هذا المعبود السماوى كان له في بعض الجهات علاقات
وروابط خاصة تربطه بحياة أهلها . فكان في هذه الأحوال يمزى إليه حماية
طائفة صغيرة من الناس ، أو ببارة أخرى كان يعتبر الآله المحلى لتلك الجهة .
ومن هنا أصبح حوريس الذى كان في الأصل يسكن الأفق غسب ، الإله
المحلى لمدن متنوعة . وكذلك « سبك » إله الماء ، فقد كان في بادىء
الأمر مروقاً في طول البلاد وعرضها بأنه شيطان يقطن الماء . ويظهر للناس
في ثوب تمساح ، ولكن على مر الأيام اكتسب احتراماً خاصاً في بعض
الجهات ، فأصبح الإله المحلى في المدن التى تنوقف سعادتها وشقتها على الماء
كأقليم الفيوم وجزر الجبلين « أمبسن » في الوجه القبلى ومدينة «خنو» الواقعة
على مقربة من دوامات السلسلة الحالية . وبهذه الكيفية أصبحت قوى
الطبيعة المختلفة آلهة محلية في كثير من الأحوال ، وصار لها احترام خاص
ومما سبق يتضح كيف أن الإله الواحد كان يعبد في جملة مدن مختلفة،
غير أن هذه الحقيقة يمكن أن تملل كذلك بالهجرة التى حدثت في المصور
التدريجة جداً . ولفهم ذلك تخيل أن سكان بيئة خاصة هجروا منازلهم واتخذوا
لهم موطناً آخر في إقليم جديد . فن المحقق أنهم يحملون معهم المهم المحلى ،
ويشيرون له معبداً في مأواهم الجديد . يضاف الى ذلك أن سكان بيئة خاصة
أو يثبات كانوا يلاحظون أن الماء معيناً يحصى ذماراً إقليمه ، ويدافع عنه بيد
من حديد ، ويفدق عليه من نملائه ، ويأتى بالمعجزات تلو المعجزات ، فيعتقدون
الخصائص على حج هذا المعبود العظيم ، وقيمون له معبداً جديداً في بلدتهم ،

الإله
حوريس
في صورة
باشق

الإله سبك

أسباب عبادة
الإله الواحد
في جهات
مختلفة

وينصبون تماثله فيه ، ويقدمون له القرابين ، ليفيض كذلك عليهم من نعماته وخيراته العظيمة . وبهذه الطريقة أصبحت بعض الآلهة تسكن مدناً لم تكن موطنها من قبل ، فتستعوز لها على مكان بجانب اله الأقليم المحلي ، وبذلك يصير لها أتباع جدد يعبدونها ، وقد تصبح أحياناً حماة وحراساً لوطنها الجديد كذلك إذا عاش سكان إقليم من الأقاليم مع جيرانهم في سلام وأمان تدور بينهم علاقات الود والمصافة ، فإن كلا من الهي الأقليميين تكون له منزلة واحترام عند جيرانه من أهل الإقليم الآخر . وكانت الآلهة كبنى الانسان يتزاورون في أيام خاصة ، بل أنه كان يوجد بمعبد المدينة مقصورة خاصة للمعبودات الأجنبية تمبديها على حسب طقوسها ورسومها الخاصة . ومن ذلك يتضح أن معبود الجهة ، وأن كان صاحب المكانة الأولى في نفوس أهل إقليمه ، لم يكن المعبود الوحيد للذي يقدس في صفته . بل كانت الآلهة الأخرى توضع بجانبه (بصفة ضيفان له) لتعبد ، وتقدم لها القرابين ، ويضرب اليها الأهلالي

وكذلك كانت تنتشر عبادة بعض الآلهة بانضمام بعض الأقاليم الصغيرة الى بعض لتأليف وحدة كبيرة ، فإن آلهة تلك الأقاليم تصبح بطبيعة الحال محروم التعبد في المجتمع الجديد الذي يتألف من هذه الوحدات المختلفة . وقد عمد الكهنة من أول الأمر الى إيجاد نظام لترتيب المعبودات المختلفة التي كانت تستوطن أى مدينة بهذه الطريقة ، ووضع كل منها في المرتبة التي تليق به . ولأسباب لا تزال سرّاً غامضاً لدينا جعلوا هذه الآلهة فئات كل فئة تتكون من ثلاث أو (ثلاثة آلهة) . وقد كانت الطريقة المثبتة عادة في هذا التقسيم أن يمين الاله الأكبر ، ثم تضاف اليه الهة زوجة له ، ويكون

الثلاث متد
تسماء
المرجين

لهذين ثالث هو ولد هما . ففي طيبة مثلاً كان عظيم الآلهة المعبود آمون ومعه زوجته الالهة «موت» وابنهما اله القمر «خنس» ، وكذلك كان تظليث منف يتألف من «فتاح» الاله الأعظم ، وزوجته «سخت» ، وابنهما «ثرت» . وفي جهات قاصية أخرى كالفتين (اصوان) كان للمعبود «خنم» اله اللشلال زوجان بدلاً من زوجة وابن ، وهما «سات» و«عنقت» ،

وبما لا شك فيه أن رواج عقيدة ما عن اله خاص من الالهة المحلية كانت تكسب هذا للمعبود في كثير من الأحوال شهرة دينية أكثر من غيره .

غير أن السبب الأعظم في تلك الشهرة كان يرجع الى ما للمدينة أو الجهة شهره المعبود من المنزلة السياسية . فإذا حدث مثلاً أن مدينة صغيرة أصبحت صاحبة موقوفة على التي يسهل السلطان على اقليم شاسع ، فإن اله تلك المدينة يمتد نفوذه حتى يصير اله ذلك الاقليم وحاميه ، فيعبد في معابده مع الآلهة المحلية

ولما تأسست مملكتان عظيمتان في الوجه القبلي والبحري ، صار الاله المحلي للمدينة التي وفد منها الملك واتخذها مقراً للملك مفضلاً على سائر الآلهة؛ ثم رفع الى مرتبة عليا فصار اله المملكة كلها وحامئها . فاصبح «حوريس» معبود «بهدت» اله الوجه البحري ، و«ست» معبود «امبص» اله الوجه القبلي وكان الملوك يعتبرون خلفاء هذه المعبودات في الأرض متقمصين

الملك
خليفة الاله
في الارض

أرواحهم . لذلك كان الملك يدعى بالاختصار حوريس أو ست ولما قامت الحرب بين القبطين ، الوجه القبلي والبحري ، وظلت مستمرة سنين عدة ، كان القوم يمتقدون أن «حوريس» و«ست» اشتركا في الشجار ، وانجالت المعركة بانتصار «حوريس» على «ست» ، وهكذا كان مصير الشعب موقوفاً على مصير الآلهة

وقد اتحدت آثار تلك الحروب الأولى من أذهان القوم في المصور
 المتأخرة ؛ غير أن الناس كانوا لا يزالون يذكرون النضال الذي قام بين
 «حوريس» و«ست» ؛ بل أن الكهنة أخذوا يثبتون في هذه الخرافة معنى
 عميقا ، فقالوا أن «حوريس» إله الشمس الساطع أورى نار حرب مستمرة
 على «ست» إله الظلام الخالك ، فكان حوريس يُهزم كل غروب ولكنه
 يشرق في الصباح ثانية في شكل جديد وينازل عدوه كرامة أخرى . ولما
 اتحدت مصر وصارت دولة واحدة تحت حكم ملك واحد لأول مرة في التاريخ ،
 كان فرعون يعتبر الممثل للألهين في الأرض ؛ أي أنه هو «حوريس» و«ست»
 في شخص واحد ؛ أو بمباراة أخرى (اذ هزم النصف الشمالى من المملكة
 النصف الجنوبى) هو «حوريس» الواقف فوق إله «أمبس» أى الصعيد . وقد
 مثل الدور بينه فيما بعد حينما استمرت نار الحرب للمرة الثانية بين المصريين
 فاشتبك في النزاع الهاتمان «بوتو» حاضرة الشمال ومدينة «الكاب» حاضرة
 الجنوب . فكانت آلهة «بوتو» تظهر في ثوب حية ، وتعبد في كل الدلتا ؛
 ومعبودة الكاب تظهر في شكل رنجة وتعبد في جميع الوجه القبلى . ولما اتحد
 القطران للمرة الثانية أصبحت هاتان الالهتان هما الحارستين الخاصتين
 لفرعون مصر ، وبقيتا كذلك الى ما شاء الله . ومن ذلك يظهر أن جزءا
 من تاريخ مصر السياسى قد ترك له منذ أقدم المصور أثرنا يينا في معتقدات
 القوم الدينية

النضال بين
 حوريس
 وست

الهاتمان
 و
 نجبت

وقد لعب الإله «أزرريس» دورا خاصا بين الآلهة المصرية المحلية لم توفق
 البحوث العلمية بعد إلى تفسيره . كان أزرريس هذا في بادئ الامر يقطن الدلتا ،
 ويحتمل أنه كان في بلدة بوسير ، ومن ثم انتشرت عبادته في طول البلاد

وعرضها ومن أم المدن التي كان يعبد فيها العزبة المدفونة (على مقربة من البليئة) ؛ وهنا أقيم له قبر في المصور للتأخرة بين قبور الملوك الأقدمين . وقد تواترت عن هذا الاله اسطورة من أحب الأساطير التي تروى عن الالهة المصرية ؛ والاشارة اليها متعددة في أقدم اللتون المصرية التي بين أيدينا ، ونعني بذلك متون الاهرام

ومما يؤسف له أنه لم تصل اليانا من الأقدمين قصة متصلة عن هذه الخرافة ، ولذلك تراءنا مضطرين الى قصتها كما وصلت اليانا من المصور للتأخرة بشكلها المحرف نقلاً عن بؤوتارخ :

يقال أنه كان لالهة السماء « ربه » (وهي عند المصريين نوت) والاله الأرض كرونس (وهو عند المصريين جب) أربعة أولاد وهم الألهان أزدريس وست (والأخير عند اليونان تيفون) والألهتان أزدريس ونشتيس . وقد تبرع أزدريس على عرش مصر ، وأسعد أهلها ، فسن لرعاياه القوانين العادلة ، وعلمهم احترام الالهة ، ونشر بينهم فن الزراعة ، ثم طاف في أنحاء البلاد رسولاً للتدنية غير محول في ذلك على القوة ، بل على جذب قلوب القوم اليه بالإغراء والتعليم تارة ، وبكل أنواع الثناء والموسيقى تارة أخرى . لذلك كان يعتقد اليونان الأقدمون أنه دايونيوس

ولما عاد من طوافه تأمر عليه أخوه ست ومعه ٧٢ شخصاً آخرون . وقد حصل سراً على مقياس جسم أزدريس ، وصنع حسب هذا المقياس صندوقاً جميلاً على بأبهي أنواع الزينة ، وأحضره معه في وليمة أعدّها لأخيه . وفي أثناء الوليمة استرعى جمال هذا الصندوق أنظار المدعوين ، فوجد ست مازحاً أن يعطى هذا الصندوق لمن يتفق مقياسه معه تماماً اذا اضطلع فيه .

فجرب كل الحاضرين (وكانوا على علم بالسكينة) ، فلم يتفق الصندوق مع واحد منهم . وفي النهاية اضطلع فيه أوزيريس ، فانطبق عليه تمام الانطباق . واذا ذلك أسرع المتأمرين ، وسمروا الصندوق من الخارج ، وصبوا فوقه رصاصاً ذائباً ، وجعلوه الى النهر ، ودفعوا به الى البحر عن طريق الفرع الثانيتي للنيل . ولما علمت أوزيريس بموت زوجها وأخيها جددت في البحث عن جثته ، وبعد جهد ونصب أخبرها بعض الصبية ، ان الصندوق التي به في النيل ، فسار مع التيار الى البحر ، ثم وصل الى مسامعها كذلك أن الصندوق رسا على الشاطئ بالقرب من « بيلئس » (في سورية) ، وهناك نمت حوله شجرة نخلة واشتملت عليه في ساقها . ولما رأى ملك تلك الناحية هذه الشجرة اجتثها من فوق الأرض وفي جوفها الصندوق ، ثم اتخذها عموداً يرفع سقف بيته ، فلما سمعت أوزيريس بذلك ولت وجهها شطر بيلئس ، حيث اتخذتها الملكة مربية لأولادها في قصرها . وعلى مر الأيام أظهرت الالهة حقيقة أمرها للملكة ، وطلبت اليها هذا العمود ، فاستلته من تحت السقف ، وانزعت الصندوق منه ، ثم رمت بنفسها عليه ، وكان لا يزال موصداً ، وحملت معها في سفينة ، وقد بقي مغلقاً حتى وصلت مصر ، ووجدت نفسها في مأمن لا يربها أحد ففتحتها ، ثم وضمت وجهها على وجه الميت وقبلته بدموع حارة . ثم ذهبت بعد ذلك لابنتها حوريس الذي كان يتربى في « بوتو » ، وهناك أخفت الصندوق الذي يشتمل جثة أوزيريس . وبينما كان « ست » ذات ليلة يستطاد في ضوء القمر على الصندوق فحرف الجثة ، ومزقها أربع عشرة قطعة ، وبثرها في الجهات القاصية . ولم يكد ذلك النبأ يصل الى مسامع أوزيريس حتى أخذت تبحث عن تلك الاجزاء ، ولهذا شرعت نجوب منافع الدلتا في زورق

الوزيريس
تبحث عن
جثة أوزيريس

ست
بحر الجثة

من البردى . وكانت كلما عثرت على شلو من أشلاء أوزيريس دفنته حيث وجدته . وهذا هو السر في تعدد قبر أوزيريس في مصر

ولما ترعرع حوريس واشتد ساعده ، أخذ يتأهب بمساعدة أمه للانتقام من ست قاتل أبيه ، وقد استمرت نار الحرب مشتعلة بينهما أياناً عدة ، وأسفرت المعركة عن فوز حوريس على خصمه ست . وقد كُبل ست وسيق إلى أوزيريس ، فلم تمسه بسوء ، وأطلقت سراحه ، فأهاج ذلك حنق حوريس ، وفي ثورة غضبه مزق تاج أوزيريس من رأسها ، غير أن تحوت « هرميس » وضع بدلاً منه رأس بقرة . تلك هي باختصار مشتملات هذه الاسطورة كما وصلت إلينا تفلّاً عن بلوتارخ المؤرخ اليوناني

وسأعود في مقام آخر إلى ذكر أوزيريس ، وتاريخ حياته ، وأبحث فيها بأمان ودقة

كانت آراء المصريين عن الكون كآراء غيرهم من الأمم ، وخاصة عن السماوات وأجرامها ، ذات علاقة كبيرة بمعتقداتهم الدينية ، غير أنهم ربما كانوا أقل مثالية في ذلك عن أهل بابل الأقدمين . فكانت الصورة التي يرسمها المصريون للدلالة على الأرض مما يربهن أن الأق الجغرافي عندهم كان محدوداً جداً ، فكانت مصر في نظر المصري هي العالم بأسره ، فهي في عينه سطح يضوى مستطيل الشكل يحترقه طولاً من الشمال إلى الجنوب نهر متسع هو النيل ، وعلى حدوده جبال شامخة هي هضاب الصحراء التي تكتنف مصر ، وعلى هذه الجبال ترتكز السماوات . وكان المصري يعتقد أن هذه السماوات على شكل طبق مفرطح تدلى منه النجوم الثوابت كأنها مصابيح معلقة . وكذلك كان يرى بعضهم أن السماوات متكئة على أربعة عمد منصوبة

أوزيريس
تدفن الجثة
ثانية

حوريس
يذبح لآبيه
أوزيريس

شكل الأرض
عند
المصريين

شكل
السماوات

في أركان الأرض الاربعة . واعتقد قوم ان السماوات فطرت على شكل الأرض تماماً : أى أنها كذلك يحترقها نهر يخرج منه تربع عدة

وكانوا يزعمون أيضاً أن تحت الأرض ملكاً سفيراً آخر (دوات) العالم السفلى

مركباً، لا يختلف في تكوينه عن الأرض أو السماوات ويسكنه الموتى . وكان للمصريين طريقة عجيبة أخرى في تصور شكل السماء : وذلك أنهم كانوا

يتخيلونها على شكل بقرة عظيمة مثبتة في مكانها بمدة آلهة أخرى صغيرة ، شكل آخر للسماء
ومحمولة الى أعلى بالآله « شو » ومن بطنها تتدلى النجوم . وكانوا يعتقدون ان

اله الشمس يسبح نهاراً على ظهر هذه البقرة في زورق خاص له

ومن معتقداتهم ان العالم ، والآله ، وبني الانسان ، لم يوجدوا من

بادئ الأمر ، بل هم مخلوقات . ولكل طائفة من الكهنة نظرية خاصة في كيفية

هذا الخلق تختلف من غيرها كما اختلفت آرائهم في شكل العالم نفسه . فكان نظريات خلق العالم

اكثر الاعتقادات انتشاراً أن الآله المحلي اى مبود للدينية هو أيضاً بادي

السماوات والأرض . فأهل مدينة منف مثلاً اعتقدوا ان مبودم المحلي الآله

« فتاح » ، ذلك للمصور العظيم ، تحت الأرض كما تحت النماثيل . وكذلك

في جهة القيلة حيث عبد الآله « خنم » حارس تلك الجهة وحاميها ، كان

يعتقد الناس انه هو خالق العالم : قبض قبضة من غرين النيل وسوى منها

العالم كما يصنع الخزاف الفخار بآلة . وفي مدينة سايس (صا الحبير) كان

القوم يعتقدون أن « نيت » الهة هذه الجهة فطرت العالم كما ينسج

الناسج قطعة من القماش . على أن هذه الاعتقادات المحلية في تكوين العالم

لا ينبغي ان نفهمها بشكها الحرفي ، أذ كان بلامراء للخيال الشمرى أثر كبير

جداً في كثير منها

أما أعظم هذه الاعتقادات انتشاراً فيحتمل أنه أتى من ناحية طائفة كهنة عين شمس . وذلك أنه في بادئ الأمر كان يوجد جسم عظيم من الماء يدعى « ن » ، يشتمل على جراثيم الحياة من ذكر وأنثى ، ومن هذا الماء فطرت الشمس أى « رع » كما يسميها المصريون . وكان هذا الماء يشتمل كذلك اله الأرض « جب » ، والهة السماء « نوت » متعاقبين . وقد بقيتا كذلك حتى فصل بينهما « شوز » اله الهواء ، فحمل الهة السماء على ذراعيه الى الطبقات العلوية

نظرية
كهنة عين
شمس
في خلق
العالم

ومن آلهة المصريين كذلك النيل الذى يهب مضر الحياة ويحفظ كل بنى البشر بما يمنحهم من الطعام والغذاء . وكان يمثل عندهم في شكل ذكر وأنثى في آن واحد فله من الأنثى ثدياها ومن الذكر لحية طويلة تكتنف وجهه . أما لباسه فكان كلباس البحار المصرى

على أن المصريين كانوا قبل كل شيء يعتقدون في الوهية الاجرام السماوية . ولا غرو ، أظم يكن من العلبى أن الفلاح المصرى اذا التى بنظره في لبة قراء صافية الاديم الى السماء المزينة بالنجوم الزاهية مال الى الاعتقاد بان هذا العالم العلوى تسكنه آلهة ايضا ؛ فلا عجب اذن ان يرى في الجوزاء أجمل الأبراج المصرية المأله ؛ وفي نجم الشعرى اليمانية الهة تسمى « صوبد » ، بل لا عجب ان كان يعتبر الشمس معبوداً يسيطر على الكون . وقد تنوعت النظريات الخاصة بالشمس (اعظم الاجرام السماوية ضوئاً) عند طوائف الكهنة المتعددة في البلاد . وقد ذكرت آنفاً ما اعتقد انه الفكرة السائدة عند المصريين عن الشمس : وهى القائلة بأنها صقر (هو الاله حوريس) يخلق في السماء بزيه الساطع . وهناك آراء أخرى ؛ فمريق رأى ان اله الشمس

الاجرام
السماوية
آلهة

أعطيا
الشمس

كان يسبح أثناء النهار على سطح ماء السماء كالبحار المصرية ثم ينزل حتماً عند الغروب الى العالم السفلي ويستمر هناك في سياحته (يظهر في اليوم الثاني في خلق جديد) . وفريق آخر كانوا يمثلون اله الشمس في شكل جعران ، وهو تمثيل يبدو لأول وهلة مضحكاً ، ولكن لا تلبث أن تزول غرابته . فكما ان الجعران يرى عادة في النهار وهو يدحرج امامه كرة صغيرة تختوى على بويضاته ، كذلك يرى اله الشمس في خلال النهار وهو يدحرج امامه في السماء كرة الشمس ، ومع ذلك فان طائفة أخرى كانوا يعتقدون أن في كل صباح تلبث من وسط الماء زهرة زيتون تستل على طفل صغير هو اله الشمس جالساً في ثوبها .

أشكال
اله الشمس
الخطئة

وفصاري القول ان الصورة التي نسي لي أن أرميها امامكم اليوم عن اقدم شكل للديانة المصرية القديمة على قدر ما وصلت اليه معلوماتنا هي بلا شك صورة مركبة من عناصر متنوعة جداً : فمن جهة رأينا فيها المعبودات المحلية ، ومن جهة أخرى رأينا المعبودات السماوية التي تبعد عن الانسان ببدأً سخيفاً لا نهاية له . وسيكون موضوع بحثي التالي الطريقة التي بها مزج علماء اللاهوت بتخيلاتهم الدينية هذين العنصرين وكيف ان هذا الامتزاج اتبع ديانة تكاد تكون جديدة



المحاضرة الثانية نمو الديانة المصرية وارتقاؤها

من الحقائق المألوف ذكرها عن قدماء المصريين أنهم كانوا أمة محافظة
بدرجة عظيمة ، ولا ريب في صحة ذلك ، فقد تمسك المصريون أيما تمسك
بالمادات والأخلاق التي توارثوها عن أجدادهم الأولين . بيد أنه لا يستتبع
من ذلك أن الديانة المصرية كانت عقيدة قاحلة ، وانها بقيت رأكدة آسنة
مدة آلاف من السنين ، لم تخط الى الأمام ، ولم يدخل عليها أى تنوير منذ
انبثاق فجر التاريخ . بل الواقع أننا نشاهد في لغة المصريين وفي كتاباتهم
وأدابهم وفي حياتهم السياسية وفنونهم وصناعاتهم قدماً محسوساً مستمراً . حقا هو مدينهم
أن ذلك لا يمكن أن يستدعى نظر القارئ غير الجاد ، فإنه يمر في قراءته على جملة
حقائق غريبة جديدة ، ولا يكون تأثيرها الأول فيه الا انها كلها متشابهة .
أما الباحث الدقيق فإنه لا يلبث أن يرى تدريجاً أن المصريين كسائر أمم العالم
تتحو حياتهم العقلية والنفسية ، وتتشى مع الزمن ؛ وانها في حركة دائمة
لا تركد قط .

ولم تشذ من ذلك الا حالة واحدة بقيت فيها روح المحافظة سائدة على
مر الأيام . وذلك ان القوانين التي أخرجت للقوم في عهد فطرتهم بقيت سائدة
في البلاد مدة آلاف من السنين ؛ ومن ثم نسجت مدنية القوم في نموها على
منوال يكاد يكون نفس للنوال الذى نسج عليه المصريون الأول في عهد
فطرتهم . ويمثل ذلك جلياً كتابة القوم وفنونهم الخيلية ومعتقداتهم الدينية .

وبما لأمرأه فيه ان بعض الآراء الجديدة قد التحت فيما بعد بالأصل القديم بوجه عام . غير ان الديانة المصرية ، التي كانت منذ نشأتها نتيجة لملاقات ^{الحفاظة} على الديانة سياسية خاصة لم يطرأ عليها أى تغيير جوهري ، اللهم الا فى عادة واحدة دونها التاريخ لنا وكانت عاقبتها الفصل التام

يذكر القارى انه تألف من الإمارات الصغيرة التي كانت تتكون منها البلاد المصرية فى عهد فطرتها مملكتان ، الوجه البحرى والوجه القبلى . ولم تضر البلاد وحدة سياسية الا بعد أن أخضعت الأولى الثانية ، وأصبحت حاضرة مصر المتحدة اذ ذاك مدينة هليوبوليس (أون) . وهذا الاسم معروف لقراء التوراة ؛ لأن زوجة سيدنا يوسف عليه السلام كانت بنت بوتوفيره رئيس كهنة بلدة (أون) الواقعة على مسافة بضعة أميال من الشمال الشرقى من مدينة القاهرة الحالية . وكان « أتم » مبودها المحلى ذا علاقة باله الشمس . والظاهر انه كان فى اعتقاد القوم هو الشمس المضيئة نفسها ، أى « رع » ^{أتم مبود} التي كانت تتمجد به الناس . وكان يعتبر الاله « الذى يسكن فى يعضته (اى الشمس) » ويفيض على الكون أشعته من مسكنه السماوى « وهو الذى « يشرق فى أفقه ويسبح فى نحاسه الأصفر (أى صحيفة السماء) ، » ^{مجد شمس} والذى لا مثيل له بين طائفة الالهة ، والذى يضيء العالم بنوره الساطع »

وكان يقيم الأهليون له داخل للمبد عموداً من الحجر يصلون عنده ليحصل العبادة الى الاله الأعظم . ويحتمل ان هذا العمود كان يقام فى الساحة المكشوفة من المبد . وعلى مر الأيام أخذ هذا العمود شكلاً منتظماً متناسباً وعرف بعد بالنسلة وهى عمود مستدق ، قته على شكل هرم صغير

وفى حين كان سائر الالهة السماوية المظلمة ماضية كل فى طريقه بمزل

عن الناس أخذ الله الشمس معبود هليوبوليس المحلي ينشئ له الروابط بين
الإنسان، وصار يُعبد بوجه خاص ، وكان في نظر القوم أعظم الالهة وأشدها
قوة . على أن كهنة هليوبوليس لم يكتفوا بإعلان هذه للناس ، بل أخذوا
يبدلون جهدهم في استنباط ما يترتب عليها . وبهذه الطريقة أمكنهم الوصول
الى فكرة عميقة عن كنه الاله . فاهتدوا أولاً الى أن اله الشمس اله واحد
فقط هو « رع » ، وان اله الشمس القديم اى حوريس الذي كان يخلق في
السماء على هيئة باسق هو في الحقيقة رع ، وان الفرق بين الاثنين في الاسم
فقط . لذلك أطلق الكهنة على حوريس اسم « رع حوريس » الذي يستوى
على الأفق . وظهر هذا التركيب أيضاً في صورة هذا المعبود ، فترى فيها
حوريس وله رأس صقر يحمل عليها قرص الشمس

إيجاز كهنة
عين شمس
في أصل الاله
« رع »

كذلك قيل ان « اتم » المعبود المحلي القديم لمدينة هليوبوليس
هو اله الشمس « رع حوريس » ، واعتبر أيضاً في جوهره نفس الاله رع
لا فرق بينهما الا في الرسم . يضاف الى ذلك « خبر رع » اله الشمس
القديم الذي كان يصور في شكل جمل ، فانه مثال آخر لهذا التطور . والحقيقة
ان كل هذه الالهة كانت تعتبر مظاهر خاصة لمعبود واحد ، أو بمباراة أخرى
أسماء لاله أحد فرد صمد

أسماء
المتعلقة

وهذا الرأي يتفق تمام الاتفاق مع الوظائف الخاصة التي كانت تنسب
لكل اله من آلهة الشمس هذه . فمثلاً كان « رع حوريس » أو « خبر رع »
يعتبر انه الشمس وقت الغروب و « اتم » الشمس وقت الشروق . فان
الأهلين كانوا يعتقدون ان الشمس تحترق السموات في فلك غمضي سياحتها
في أول النهار في المركب « منرت » الجليية ، وتقضي رحلة المساء في الزورق

أسماء في
سياحة
اليومية

« مسخت » الذي كان يسبح بها وراء الأفق الغربي الى جبال « منو » الخرافية . ومنذ ذلك العهد تحولت انحرافات المدة التي نسجها خيال الجهات المختلفة عن حركة الشمس اليومية الى الاله الأحد « اله الشمس » معبود هليوبوليس ؛ ومن ثم نشأت متناقضات بعضها من الغرابة بمكان . ولم يبدل علماء اللاهوت أى مجهود في التوفيق بينها . ومما لا شك فيه ان عدد انحرافات التي تعزى الى الشمس كان وثيراً جداً ، اذ الاشارة اليها لا يكاد يخلو منها متن ديني ، غير أنه للأسف لم يصل اليها منها الا جزء ضئيل جداً

وستفصل القول في احدى تلك انحرافات التي تعزى الى الشمس حتى يتصور القارئ صورة واضحة عن امثال هذه انحرافات المصرية القديمة وماهيتها وكان « رع » اله الشمس يمثل في هذه الخرافة في شكل ملك له السيطرة التامة على الآلهة وبني البشر جميعاً . وكان كأمرأه الأرض يرجع على أربكة ملكه ويتأجج دماياه ويشاطر بني الانسان في أفراحهم وأتراحهم . بيد أنه حُرِّم بنوع خاص قوة الشباب الأبدية ، فكان يطعن في السن بمرور الأيام ، وأخذ الناس يعصون أمره لشيخوخته كما يفعل المصريون اذا سلط عليهم ملك اشتعل منه الرأس شيئاً . هذه كانت مكانة الاله رع في بداية الخرافة التي سنقصها قليلاً عن الآثار : -

أسطورة
من اله
الشمس

كان جلالة (الاله) طاعنا في السن : عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد الخالص . ولكن الناس تأمروا عليه ففطن جلالة لأغراض الخلق ، وقال مخاطباً أتباعه : آتوني عني (أى العبادة حاتحور) والمعبود « شو » والمعبودة « تفت » وكل الآباء والأمهات المقدسة الذين كانوا بصحتي حينما كنت لا ازال في المحيط الأزلي « ن » ، وآتوني أيضاً

بالاله « ن » ذاته وسعه كل خدمه . وليكن حضورهم الى هنا خفية حتى لا يرام بنو الانسان . تمالوا معهم الى القصر لكي تأخذ بنصيحتهم ؛ وتلبية لأمره ذهبت هذه الآلهة الى حضرته وجثوا أمامه حتى لطمت جباههم الأرض ثم قالوا لجلالته . نكلم حتى نسمع . فقال « رع » مخاطباً « ن » : أنت يا أكبر الآلهة سناً ، يا من منحتني الوجود ، وأتم يا أجدادى للمقدسين ، لقد رأيتم كيف ان هؤلاء انطلق الذين نبتوا من عيني قد ناروا على . فالآن أريد أن أسترشد برأيكم في أمرم لأنى لا أود أن أذبحهم حتى اسمع نصيحتكم في هذا الأمر

فأجابه جلالة الاله « ن » : يا بنى رع ، أنت أبها الاله لئذى فاق أباه عظمة وقامت قدرته قدرة من خلقوه ، ابقى (هادئ البال) على عرشك ، فإن الخوف منك عظيم لو أنت ألقبت بمجرد نظرة نحو من تأمروا عليك . فقال جلالة رع : انظر كيف يولون الأدبار فى الصحراء وفلوبهم وجلة بما قالوه . ثم قالوا (الاله) لجلالته : دع عينك (اى الآلهة حاتحور) تنزل الى الأرض حتى تقتل هؤلاء الذين افتروا انما عندك (وهكذا قضى الأمر)

ثم عادت الالهة حاتحور بعد أن ذبحت خلقاً كثيراً فى الصحراء ، وعندئذ قال جلالة هذا الاله (رع) : مرحباً يا حاتحور ، هل قتت بأداء ما أمرت به ؟ فأجابه حاتحور : أقسم بحياتك لقد انتصرت على جميع الخلق فانتصرح صبرى بذلك

يبد أن سفك الدماء لم يكن قد انتهى بعد ، اذ أرادت حاتحور فى اليوم التالى ان تستمر فى عملها . ولكن عوامل الشفقة حركت رع نحو العباد ، فأخذ يفكر فى كيفية إيقاف هذه المذبحة . فأرسل على جناح الثعامة رسلاً الى

مدينة الفيلة في طلب نوع خاص من الفاكهة من هذه الجهة . ولما جرى بها أمر أن تعصر في هليوبوليس ، فصنع الجوارى من عصيرها جعة ملأت سبعة آلاف إبريق . وكان لون هذه الجعة في الظاهر يشبه دم الإنسان . ولد أعد هذا الشراب المسكر ليكون منه خلاص لبي الإنسان . وفي باكورة النهار أمر دج باحضار هذه الأباريق الى المكان الذى كانت ترغب حاتحور ان تذيب فيه الخلق ، وهناك أُرقت تلك الجعة ففُثرت الحفول بهذا السائل الأحمر . ولما حضرت حاتحور في الصباح وجدت بحيرة من الجعة ينعكس فيها عياها بصورة جميلة ؛ فشربت منها وعادت الى بيتها ثمة غير قادرة على تمييز لبي الإنسان (من غيرهم) ، وبذلك سلم المباد من غضب حاتحور بحيلة من اله الشمس . على أن رجع رغم ذلك سُم الأقامة بينهم فصعد الى السماء ثانية على ظهر البقرة السماوية وأورث الأرض بعمد المعبود « نحت » (اله الحكمة)

ولم يكف ككمنة « اون » (هليوبوليس) بالتفنن فى أساطير اله الشمس ، بل صقلوا كذلك قصة الاله أوزيرس ووضعوها فى شكلها النهائي و تاريخ النضال الذى قام بين المعبودين المحليين حوريس وست ؛ وقد قصصت ذلك عليكم فى الفصل السابق تفلأ عن بلوتارخ وليس يبعد أن يكون ادخال حوريس فى قصة أوزيرس من صنع هؤلاء الكهنة وقصتهم ؛ اذ صار حوريس فى هذه القصة ابناً لأوزيرس ، أما ست عدو مهر السفلى فأصبح أخاً لأوزيرس وعدواً منافساً له

وقد تسرب بطبيعة الحال عدد وفير من المتناقضات الى أساطير المصريين وخرافاتهم بسبب الساع دائرة الصفات التى عزيت الى كل اله ، والحلال بعض

المتناقضات
فى الأساطير
المصرية

أركان الأفاقيص القديمة . ومن التريب أن كهنة عين شمس كما أسلفنا لم ينظروا الى هذه الأمور كأنها متناقضات ، بل كانوا يرون فيها حكمة بيضاء للغزى ، وعلى هذا الزعم أخذوا يحلون بهارة لا مثيل لها تلك الاشكالات التى أوجدوها ، وكان غرضهم الأشي أن يحققوا أسماء الآلهة العظام ويبتكروا تفسيراً علمياً لأسمائهم والقابهم المختلفة

ولا يكاد يوجد متن دعى الآ ولكهنة «آون» أثر فيه . ولا نكون مغالين (بل أننا على العكس نصيب كبد الحقيقة) اذا قررنا أن الجزء الأوفر من أديبات القوم الدينية أنشئت أو على الأقل نشرت فى هذه المدينة . وقد بنى نشاط هؤلاء الكهنة الأدبى الى إبان العهد اليونانى ، وانتشرت شهرتهم وذاع صيتهم فى بلاد اليونان نفسها . حتى الى عهد هيردوت كان لكهنة عين شمس الشهرة بأنهم أعلم كهنة مصر . وكان طلاب العلم والحكمة أمثال يودوكس وافلاطون يحجون « مدينة الشمس » ليسمعوا فيها جوامع الكلم فى الحكمة فى كليتها الدينية

وقد صاحب نحو الأساطير الدينية فى مدينه عين شمس « هليوبوليس » سعى الكهنة لجعل النظرية الدينية الواحدة كفضيلة بتصور هذا العالم ، فتصوروا أنه فى بداية الخلق برئ معبود هليوبوليس المتلى « آئم » (وهو نفس الاله رع حوريس) ولذلك اعتبر رأس الآلهة . ثم خلق بعده اله الأرض « جب » فالآله السماء « نوت » ، واله الهواء « شو » . وكما أنه كان لجب زوجة يحواره كذلك وجد لشو زوجة هى الالهة « تفتت » التى فسرت بـ « بالهة » « التندى » ثم تناسلت هذه الالهة فولد « جب » و « نوت » الاله أوزيريس وأخته أوزيريس ، والاله ست وأخته تفتيس ، من ذلك تكون تاسوع الالهة

أثر كهنة
« آون »
فى ديانة
المصريين
وطرهم

أصل العالم
فى نظر
كهنة
« آون »

الذي يمثل فيه أصل خلق العالم ، وتاريخ مصر في عهد الفطرة . وتعرف هذه الآلهة التسعة في علم اللاهوت المصري بتاسوع « آون » (عين شمس)

التاسوع
الأكبر

وقد تألف بمد تاسوع نان (ويسمى التاسوع الاصغر) على نسق الأول ،

ودخل في زمرته آلهة مختلفة من المعبودات المحلية ، ووُضِعَ على رأس هذا

التاسوع شكل خاص من الإله حوريس يسمى « حرسيس » أي حوريس .

ابن أزييس . وحوريس هذا هو بطل قصة أزييس . ولدى منافع الدلتا الموحشة

وربه هناك أمه أزييس ، واعتبر في هذه الحالة الجديدة الهام من آلهة الشمس ،

أما الثمانية الآلهة الآخرون المتممون حلقة التاسوع فكانوا الحاميين له من

التاسوع
الاصغر
أو الثاني

شر أعدائه . ولا نعلم أسماءهم باليقين من المصادر التي بين أيدينا

فن بين هذه الآلهة كما روى العالم « مسبرو » الآلهة حوريس معبود

ادفو . وقد طعن بحرته بحول البحر والأفاعي التي تمرض في المياه السماوية وتكدر

صفوالة الشمس أثناء سياحته في سفينة ؛ ثم « تحوت » اله الحكمة الذي يقود

السفينة في سياحتها بأغانيه السحرية ، ثم « ونوات » معبود أسيوط المحلى الذي

كان يحرك سكان السفينة وعند الحاجة يجرها بالامراس في الماء الضحضاح

وكان لهذين التاسوعين ثالث مكمل لهما ، ويتألف من أولاد حوريس

الاربعة ، وأولاد « خنتي خاني » معبود اورييس (بنها)

ويطلق على الكائنات التي يتألف منها التاسوع الثالث في المتون

الدينية « ملائكة » عادة وأحياناً تعتبر آلهة . والظاهر أنها لم تكن آلهة بالمعنى

التاسوع
الثالث

الحقيقي بل كان لها منزلة وسطى بين الالهة والبشر . أما عن مدلولات

أسماء هذا التاسوع فلا نعلم شيئاً باليقين

وقد أخذ عن كهنة عين شمس بعض المأهات الدينية الأخرى مذهب

خلق العالم وتاريخ مصر الفطرى الميثاقين فى تاسوع « أون » وجعلوه ملائكة
لأحوال يديهم، بأن وضعت كل جهة الهما المحلى موضع « أتم » معبود « أون »،
أى على رأس التاسوع ليكون له المكاثة الأولى، ويعبد على أنه خالق
السموات والأرض. من أجل ذلك نرى لكل من فلاح معبود منف، ومن
بمده آمون معبود طيبة المكاثة الأولى فى جهته بين الالهة الأولين. ولم يكن
بالأمر الصعب على كهنة المعاهد الدينية التى تقول بعبادة الهة أنى، أن يحلوا
الالهة محل « أتم - رع - حوريس ». فمثلاً نرى « نيت » معبودة
سايس (صا الحجر) و « حاتحور » معبودة دندره، رفعت كل منهما الى مرتبة
المعبود الأعظم

وكان هناك بطبيعة الحال مذاهب أخرى فى خلق العالم غير مذهب
هليوبوليس، غير أنه لم يحفظ من بينها مكانته فى علم اللاهوت المصرى، ولم
ينل شهرة يمكن موازنتها بتاسوع هليوبوليس الأكبر، سوى مذهب واحد
هو مذهب « هرموبوليس » (الأشمونين) إحدى مدن الصعيد التى اتخذت
تحت الوه الحكمة معبودها المحلى. وكانت طائفة المعبودات التى خلق منها
العالم على حسب هذا المذهب تتألف من ثمانية

وانما جعلت ثمانية على ما يظهر، لأن الاسم المصرى لمدينة هرموبوليس
« مخنو » (ومنه أتت الأشمونين الحالية) معناه ثمانية : وهذه الخداتة
البسيطة كافية وحدها للدلالة على أن هذه الالهة الثمانية التى نشأ منها العالم
لا يرجع علة وجودها الى الخرافات الشائعة، بل الى فروض رجال الدين وبتدعاتهم.
ويجند فى هذا المذهب أيضاً أربعة آلهة وأربع الهات بدعى خاصة
ليكن أزواجاً للآلهة. وهالك اسماء الالهة : « نو » و « هيوز » و « كك »

المعاهد
الأخرى
تلك المعبد
عين شمس

مذهب
الاشمونين
فى خلق
العالم

و «نُونو» أما الالهات فهي «نوت» و «هيهوت» و «كيكيت» و «نُونِت». وعلى رأس هذه الالهة «نحوت» (هرمس) مبدؤ الأشمونين المحلى. وقد مثلت الآلهة في هيئة رجال لهم ردوس صفادع. أما الآلهات فمثلن على شكل نساء هن ردوس ثمايين. وكذلك كانت تظهر جميعها في صورة رئيسها «نحوت» فتبدو في هيئة فردة. وكثيراً ما نشاهدها على هذا الشكل تحي بألحانها الشمس المشرقة. بيد أنه مما يؤسف له أنها ليس لدينا معلومات مدلول هذه الأربعة الأزواج من الآلهة. وقد رأى العالم لبيوس أنها تمثل رمزاً الى العناصر الأربعة الماء والنار والأرض والهواء. وفسر العالم برکش «نو» و «نوت» بالمادة الأولى. و«هاك» و«هكت» بالقوة الفعالة و«كك» و«كيكت» بالظلام و«نُونو» و«نوت» بأصل خلق العالم. على أن كل هذه التفسيرات لا تخرج عن حد التخمين المنطوى على الجراءة، ولذى لا يكاد يدل على شئ، مما كان يرى اليه كهنة هليوبوليس الأقدمون

ولا يفرج عن الذهن أن العقائد الدينية في الشكل الذى أوصلته اليه أبحاث كهنة عين شمس وهرموبوليس وغيرها من المراكز الدينية، لم تضر يوماً ما من معتقدات الشعب بل كانت على العكس تحجب عن دهاء القوم بحجاب من التكم وينظر اليها كأنها أسرار مكتومة لا يصل الى حقيقتها إلا الأخيار. فكان الفلاح المصرى لا يعرف شيئاً عن اله الشمس الأصلى الذى كانت آلهة الشمس الأخرى أسماء خاصة له، ولم يكن يعبأ بالتاسوع الاكبر أو التاسوع الأصغر، ولا بتلك الموجودات الفاضلة التى تتألف منها، بل كان همه فى أداء الصلاة للشمس صباحاً ومساءً، وتقديم ما عنده من قربان للاله الذى يحمي ذماره، كما كان يفعل أجداده من قبل

أما الكهنة فكانت المعقدة الخاصة باله الشمس تزداد رواجاً بينهم على مر الأيام . والظاهر أن هذا المذهب قد نال في الأزمنة التاريخية تشجيعاً خاصاً من ملوك الأسرة الخامسة . وأصل ملوك هذه الأسرة (إذا أخذنا بما جاء في أحد كتب القصص القديمة) من سلالة أحد كهنة اله الشمس .
 وكان يقطن مدينة « سخبو » بالوجه البحري على مقربة من عين شمس . وتقول القصة أن اله الشمس نفسه كان والد الثلاثة الملوك الأول من هذه الأسرة ، وأن الآلهة مدوا لهم المساعدة وقت ولادتهم ، وأهدوهم نيجان الملك . وقد عكف هؤلاء الملوك على خدمة الاله « رع » بحماسة شديدة ، فشيدوا له في مقابر منف معابد خاصة على نسق معبد الشمس في هليوبوليس

وقد كان من جراء تفضيل عبادة اله الشمس واجلاله أكثر من غيره ، أن أخذ القوم يمثلون الآلهة الأخرى به ويقولون أنها هو . وقد غالوا في الامر حتى نسبوا ذلك الى الالهة التي لم يكن لها في الأصل علاقة ما بالشمس .
 كسبكت اله الماء ، و « امون » اله الحصاد ، وصوروا كلاً منها بإضافة رمز اله « رع » له ، وهو قرص الشمس يحيط به ثعبان فانتك (الصل) . كذلك أنقيات المعبودات كانت تعتبر الهات السماء ، كل منهن تمثل في الأخرى ويصورن حاملات قرص الشمس فوق رؤوسهن

دخلت الديانة المصرية ، في طور جديد من أطوار نموها وتقدمها في خلال حكم « الدولة الوسطى » ؛ وذلك حينما انتقل مركز البلاد السياسي الى الجنوب . وعلة ذلك أنه في خلال الفتن الداخلية التي قضت على الدولة القديمة كانت مدينة طيبة قد أصبحت ذات قوة وشهرة ؛ فكان لأمرائها الفضل في إرجاع النظام الى نصابه ، والسير بالبلاد ثانية في طريق الرقي والنجاح ،

وبالرغم من أن ملوك الأسرة الثانية عشرة تقلوا مقر حكمهم الى جهة الفيوم ،
 فان المدينة التي نشأوا فيها كانت لا تزال مطمح أنظارهم وموضع عنايتهم .
 لذلك اعتبر امون معبود طيبة المحلي اله الشمس (أعظم المعبودات المصرية)
 وصار اسمه « امون رع » ، وأصبحت منزله فوق كل الالهة ، وأقيمت له
 المعابد الجديدة ، وقدمت له الهدايا النفيسة . ثم صارت طيبة فيما بعد مركزاً
 للمعركة التي قامت بين المصريين وغزاة المكسوس . فلما وضعت الحرب
 أوزارها أصبحت طيبة مرة أخرى حاضرة للدولة الحديثة ؛ وعندئذ أصبح
 امون رع صاحب المكانة الأولى بين جميع الالهة المصرية . فكانت فراغة
 مصر تقود الجيوش المظفرة الى الفرات شمالاً ويتوغلون بها في السودان جنوباً
 تحت حماية هذا الاله . وكان الجزء الأعظم من الغنيمة التي تحملها هذه الجيوش
 من الأراضي المنلوبة يحبس على « امون رع » اله حاضرة البلاد ؛ اذ كان هو
 الذي يمنح فرعون « ابنه المولود من ظهره ، ورمزه في الأرض » السيادة على
 العالم ، ولذلك كان له الحق هو وكمهنته أن يتالوا جزاءهم الحق من هذه التناهم
 وبما سبق يتضح أن امون أصبح معبود مصر القوي في عهد الدولة
 الحديثة ؛ فلم يكن لغيره من الالهة المصرية مكانة عظيمة في الديانة الرسمية
 اللهم الا « رع حوريس » اله مدينة عين شمس ، وفتح اله مدينة منف حاضرة
 للدولة القديمة . لذلك كانت تقام المعابد في البلاد المقهورة للاله امون أولاً ثم
 لرع حوريس ثانياً ، ثم لفتاح ثالثاً . وهذه الالهة كان يسبدها أهل البلاد
 المقهورة على أنها الحامية للدولة المصرية

أمون رع
 أعظم الالهة
 المصرية

المعبودات
 رع حوريس
 وفتاح
 أمون في
 المنزة

وفي الوقت عينه كان علماء اللاهوت الذين ينزعون الى طريقة التوفيق
 بين الالهة المختلفة وادماجهم في الله واحد بدأبون على تحقيق غرضهم ، فاذا

كانت الفروق بسيطة بين أوصاف الآلهة المحلية وشكلها جرت المادة أن
تدجج هذه الآلهة بعضها ببعض وتفسر بأنها مظاهر مختلفة لاله واحد. مثال
ذلك أن الاله «اموزع» العظيم نشأت له مظاهر في آلهة أخرى كالاله «من»
معبود فقط المحلي، و«خنم» معبود الفنتين (اسوان)، وكذلك نشأ للمعبودة
«بستت» الهة «بوسطة» مظاهر في الآلهة «سخت» والمعبودة
«بخت» (الهة بنى حسن)؛ وكلها كانت تظهر في صورة لبوة أو قطرة.
على أن هاتيك الآلهات جميعها كن مظهرًا من مظاهر الآلهة «موت» أم
الآلهة وزوج «اموزع» اله طيبة

ومن البدهى أنه بهذه الطريقة ازداد الضموض والتعقيد اللذان كانا
يوقان تهم آلهة قدماء المصريين. حقا أنه لم يكن بالأمر السير على عقل
أريب في تلك الأيام أن يزيل آثار الارتباك من تلك المعتقدات والأساطير
التي نشأت في عصور مختلفة وأماكن متباعدة. فما كان عليه إلا أن يتأمل في
المجبودات التي كانت تبذل وتنتز لادماج الآلهة المحلية المختلفة بعضها ببعض
وجعلها آلهة تمثل الشمس أو السماء، فيجد في ذلك دلالة كافية على أن القوم
انصرفوا عن عبادة الآلهة الأولى المحلية ولم يعد هنالك مبرر لعبادة نبي، إلا
طائفة صغيرة من الآلهة، أو عبادة إله واحد

ولكن لعمري أين ذلك الرجل الذى كان يكن بين جوانحه الشجاعة
الكافية، لابرز هذه النظرية الأخيرة من حيز الفكر الى حيز العمل، فيضرب
بالمجبودات القديمة عرض الحائط ويحل محلها إلهًا واحدًا جديدًا؟ أليس من
الطبعي إذا قام هذا المصلح بمثل ذلك الانقلاب أن يقوم في وجهه كهنة
للمعابد الدينية في جميع البلاد من أقصاها الى أقصاها يحارون هذا التفسير

طريقة
التوفيق
بين الآلهة
بإدماجها
في بعضها

ذلك يزيد
الوضوح
تتبعاً

ومدافعين عن ميزات آلهتهم ومناقضهم الخاصة ؟ بل ماذا يكون جواب كهنة
طيبة سَدَنَةُ « امون رع » ، حينما يرون المههم يخلع أمام أعينهم من عرشه ،
وم للذين كانوا يقيمون الحفلات ويولون الولائم والفخر من صدورهم تعجيداً
لقوته وعظمته وجبروته ؟ ألا يمارضون بكل ما لديهم من حول وقوة في
ادخال إله آخر أعظم من إلههم امون ؟ ثم ماذا يكون رأى دعاء القوم
الذين شبوا على احترام آلهتهم القديمة ولم يشغلوا عقولهم بالمذاهب الدينية ؟
وكيف يسوفون لأنفسهم أن يقتعوا بأن سلطة آلهتهم الأقدمين أصبحت
في خبر كان ؟ وإن إلهاً جديداً حل محلها يجب عبادته وإقامة الصلوات وتقديم
التقريبات له بأمر من السلطة الحاكمة ؟ على أن يوم هذه المخاطرة الجريئة لم
يكن بعيداً يوم يُقضى على الآلهة الأقدمين وتبدل عبادتهم بعبادة إله واحد
في السماء والأرض

ماذا يحدث
لوقام فرد
بنشر عبادة
إله واحد

وكانت عوامل الحقد، والغيرة، والبنضاء تستخدم نيرانها في نفوس كهنة
عين شمس، إذ رأوا أن المعبود امون رع قد علت مكانته حتى أصبح إله الدولة
العام ؟ وإن كهنته أصبح في أيديهم قوة كبيرة بفضل ما كان يفيض عليهم
الملوك من الخيرات العظيمة بكرم حاشى . فقد كانت كهنة « عين شمس »
يدعون أن إله الشمس « رع حوريس » هو المسيطر على العالم أجمع في حين
أن امون ليس بأعظم شأناً من « فتاح » إله منف المحلى ، أو سبك ممبود
القديم ، وأنه إذا قرن برع حوريس يكون مثله كأمير القطيعة والملك . بيد
أن امون أظهر من آيات الجليل والانعام على فرعون ما جعله لا يأبه بأقوال
أتباع « رع حوريس » التي كانت تتم عن الغيرة وترى الى جمل إلههم
صاحب المكانة الأولى في الدولة المصرية . على أنه بمرور الزمان سنحت

المنافسة بين
كهنة عين
شمس وبين
كهنة امون

القرص لكهنة « هليوبوليس » لنيل أمنيته والوصول الى مرغوبهم
 وذلك ان الملك المنتخب الثالث لما لفظ الحياة عام ١٣٩٢ ق. م خلفه
 ابنه المنتخب الرابع على اريكة مصر . والظاهر أنه تربى تربيته الأولى بين
 كهنة عين شمس وسواء أكان ذلك حقيقة أم لم يكن ، فقد كان هواه مع شروح القرص
 مذهب كهنة هذه المدينة القائل بأن إله الشمس أعظم الآلهة ، وأنه ^{لكهنة} عين شمس
 لذلك أحق بأن تسود عبادته في جميع العالم ، وأن شهدي إليه أحسن خيرات المنتخب ^{يقول} العرش
 الدنيا وأمنها

وقد أطلع كهنة عين شمس في استمالة الملك الى جانبيه ووجدوا فيه
 المضد الأكبر لاثبات دعوائهم وتحقيق غايتهم . وفي هذه الآونة تمت عقيدة
 سرية خاصة بين علماء اللاهوت في عين شمس تقول بأن أنثى شكل يظهر
 فيه إله الشمس ليس هو « رع » بل مظهره الوحيد وهو قرص الشمس . ^{معدة}
 ووضعوا لهذا المظهر اسماً خاصاً وهو « رع حوريس » الذي يصبح من الفرح ^{كهنة عين} شمس السرية
 على الأفق ويتمتع باسمه « النور الذي في كرة الشمس » . على اننا لا نعلم معنى
 هذا اللقب الغريب ، ولا نعرف شيئاً عن التعاليم التي كانت تلقنها أتباع هذا
 الإله . والظاهر أن المنتخب اعتنق هذا المذهب بحماس وشغف اذا أنه لم
 يقتصر على الانضمام الى حلقة أتباعه ، بل صار أيضاً رئيس رسله

ولم يكد المنتخب الرابع يجلس على عرش مصر حتى أخذ يسعى في
 نشر عبادة هذا الإله الجديد في أنحاء البلاد . فأعلن جهاراً أنه رئيس رسل
 هذا الإله العظيم ، وأمر بتشييد معبد تقم له في مدينة طيبة ملاصق لمعبد
 امون . وقد ظهر هذا الإله الجديد على النقوش البارزة التي زينت جدران ^{منتخب}
 هذا المعبد على شكل المعبود القديم « رع حوريس » ، أي في هيئة انسان له ^{ينشر للنمب} الجديد

رأس باز وشوَّج هذا الرأس قرص الشمس يحيط به صل . وقد أقيمت في منف وغيرها من البلدان المعابد لهذا المعبود وتمددت أسماؤه فمُرِف « برع حوريس ، وقرص الشمس » و« آتون » (ومعناه باللغة المصرية قرص الشمس) وقد خصص الملك لهذا الإله جمة مقدسة وقُفَّت عليه تعرف باسم « آختاتون » أي أفق قرص الشمس . وهذا المكان يسمى الآن تل بى عمران (بالقرب من ملوى) نسبة الى قبيلة البدو التي استوطنته

آختاتون
المكان
القدس
المعبود الجديد

وحذا حذو الملك في اعتناق الذهب الجديد اصداقائه ووليجه ورجال دولته وان لم يستقدوا فيه من قلوبهم . ورغم ما كان عليه المنصب من التخمس للإله الجديد أباح في بادئ الأمر عبادة آمون وغيره من المعبودات المحلية ، بل لم يحجم عن الظهور في النقوش والصور وهو يعبد آمون ونحوت وست وغيرها من الآلهة . ولا غرابة اذا علمنا أنه رغم كل المجهودات التي بذلها الملك في نشر دعوته ، كانت تقاومها كهنة المعابد الدينية وبخاصة كهنة طيبة أتباع آمون ؛ غير أن هذه المقاومة لم تقف في عضد فرعون لدرجة تجعله يحجم عن ادخال عبادة الهه ، بل أورت بالمعكس نارتعصبه لمعبوده لدرجة عظيمة ، وساقته أخيراً لانتخاذ خطوة حاسمة

الملك يعبد
الآلهة الأخرى
أيضاً

ففي السنة السادسة من سني حكمه جمعت عبادة آتون الدين الرسمي للبلاد ، ومن وقتئذ طلب رسمياً الى المصريين والنوبيين والاسيويين الخاضعين للدولة المصرية أن يعبدوا هذا الإله الفرد الأحد دون سواه . وقد أمر الملك على جدران المعابد . وقد ظهر هذا الاضطهاد بشكل مربع ، وبخاصة ضد المعبود آمون وأسرته (الآلهة موت واله القمر خنس) . فصور اسم آمون جملة ،

مخرج
المعبودات
وعبادة الواحد

ولم يسمح بذلك في أى مكان ، حتى أن كل فرد دخل في تركيب اسمه امون كان لزاماً عليه أن يسمى نفسه من جديد ، وأول من فعل ذلك الملك نفسه ^{الملك يتبع} ^{اسمه المشتل} ^{على كلمة امون} فإنه تجرأ من اسمه امنيحش (امون راض) ، وسمى نفسه من جديد باسم اخناتون ومعناه (روح ضوء الشمس) *

حقاً تغفل الملك في الاعتماد بدنيته الجديد بحماسة واخلاص لم يسبق لها مثيل ، ولقد رأى أن طيبة حاضرة ملكه لم تكن بالمكان اللامع خادمة إلهه بحمية صادقة ، اذ كان كل شيء في هذا البلد مرتبطاً بعبادة امون تمام الارتباط من قديم الزمان ؛ ولم يخط فيه المذهب الجديد خطوات واسعة رغم كل ما يندب من المجهودات في نشره . من أجل ذلك عقد فرعون النية على ^{تل الحاضرة} ^{ال اخناتون} هجر طيبة مستصحباً كل وليجته ، فولى وجهه شطر تل بى عمران ليؤسس فيها حاضرة جديدة . وقد كان من قبل حبس هذا المكان على الاله « آتون » . ثم دخل في السنة السادسة من حكمه بابه وعظمه حاضره الجديدة « افق قرص الشمس » (اخناتون)

* جاء في كتاب الأستاذ « برستد » تدرج الديانة والأفكار في مصر القديمة صفحات ٣٧١ و ٣٧٢ « وقد غير الملك اسمه من أمنيحش » (ومعناه امون يرتاح أو راض) الى اخناتون ومعناه (اتون راض) . وهذه ترجمة لاسم الملك القديم بفكرة تناسب مع مذهب اتون

وقد كتب في هامش الصفحة السابقة من الكتاب نفسه ما يأتى :-

أنظر مقال الأستاذ سيق (Sethe) في مجلة « سبتشرف » جزء ٤٤ صفحة ١١٦ - ١١٨ حيث تمجد البرهان على صحة الترجمة الجديدة لهذا الاسم . وبما لذلك يجب اصلاح ترجمة هذا الاسم في كتاب المؤلف (برستد) « تاريخ مصر القديم » صفحة ٣٦٤

قد تسأل أيها القارئ عن موضوع هذا الدين الجديد الرسمي ، وعن العقيدة التي كرس الملك نفسه لخدمتها بهذه الحمية ، والتي بذل أقصى جهده لنشرها في أنحاء بلاده من أقصاها إلى أقصاها . فاجواب على هذا السؤال واضح جلي في التسيحة الشهيرة التي ربما كانت من نسج فرعون نفسه ؛ اذ فيها يُسبَّح لآتون بصفته الاله الواحد خالق كل الحياة ومنظم العالم وحافظ الكون ومطلما :

موضوع الدين
الجديد يظهر
في تسيحة
الآلهاتون

« جميل نورك على أفق السماء ، أنت يا من هو الشمس الحية التي وجدت قبل كل شيء . حينما تشرق على الأفق الشرق تملأ كل الأرض بجمالك . أنت جميل وعظيم وساطع وشرق على كل الأرض . أشعتك تسكتف كل العالم وكل ما هو من صنعك »

نم يأتي بعد ذلك كيف أن الناس حينما تحتفي الشمس ليلاً وتنزل تحت الأفق الغربي ، يشاهم الناس ، وأن الحيوان المفترس عدو الإنسان كالسباع ، والحشرات المؤذية كالنمل يخرج من مخايبها . ولكن شتان بين ذلك وبين الحال « حينما تكون الأرض مضيئة ، عند ما تشرق أنت على الأفق وترسل أشعتك فمندئذ يشمل السرور العالم » ويستيقظ الناس ويقفون على أرجلهم ، لأنك أيقظتهم فيسلون أبدانهم ويرتدون ملابسهم ويرفون أيديهم تضرعاً وابتهاً حينما تشرق . ووقتئذ تكون كل الحيوانات آمنة مطمئنة في مراعيها وتختصر الأشجار والأعشاب وتطير المصافير من أوكارها وأجنحتها تثني عليك . وتخرج الأغنام في مراعيها وكذلك تحي كل الحشرات والطيور حينما تسطع بأشعتك عليها ،

كذلك تبت الشمس الحياة في البحار « فتسبح الفلك فيها بحينة

ورواحاً شمالاً وجنوباً ، وتسبح الأسماك امامك فى النهر ، وتحترق أشمتك
حجب البحر ،

كذلك كل بى الانسان والحيوان من خلق الشمس . « ففى تسوى
الجنين فى بطن أمه ، وعند ما يظهر الطفل للعالم يوم ولادته تفتح فاه ليتكلم .
وآتون أيضاً « هو الذى ينفث ريح الحياة فى القرح حينما يخرج من قشر
البيضة ما اكثر الأشياء التى يرأتها ، فأرادتلك خلقت الأرض
والانسان والحيوان وكل المخلوقات الصغيرة ، وكل ما يشى على رجليه ، أو
يطير بيناحيه . وكذلك خلقت أرض سوريا وبلاد اتيوبيا فضلاً عن أرض
مصر . أنت تضع كل شىء فى مكانه ، وأنت تسد حاجته . الناس ألسنتهم
مختلفة واللوانهم متباينة . هكذا قسمت كل العالم »

ولما كان آتون خالق الناس ، كان هو الذى يطعمهم : الأجانب منهم من
ماء السحاب ، والمصريون من النيل « النيل السماوى » . وفى الختام يسبح
للإله لأنه « أوجد فصول السنة : خلق برد الشتاء وحرارة الصيف : أنت
ذرات السموات العلى لتتبر فيها وتبصر من علاك كل ما خلقت . أنت الإله
الأحد . أنت تضىء فى مظهرك على شكل قرص الشمس الحى . أنت تشرق
وترسل أشمتك : فللندن والقري وقبائل البدو والأنهار وكل الأبصار تنظر
إليك حينما تشرف على الأرض

حقاً أن هذه التسيبة لمن أجهل التسايح التى وصلت إلينا من الأدب
المصرى ، غير أنها لا تشتمل على أفكار مبتكرة ، إذ كل ما جاء فيها يحتمل
وجوده فى تسيبة للشمس من نسج أتباع المذهب القديم قبل قيام
هذا الإصلاح الدينى . على أن العقيدة الهامة فى هذا الدين الجديد هى أن

أتون هو الخالق والنظم والحاكم للعالم أجمع لا مصر وحدها . فكانت ملك
العالمين . وهذه الصفة قد عبر عنها أتباعه في شكل ساذج فوضعوا اسم
الاله في خاتم (خرطوش) كما توضع أسماء مالوك الدنيا وأضافوا الى ذلك
بعض الألقاب مثل « كرة الشمس الحية » أو « رب كل ما تحيطه كرة
الشمس » و « الذي يضئ مصر » و « رب أشعة الشمس »

المذهب الجديد
يرجع الى
التوحيد

ولا مشاحة في أن هذا المذهب كان يرمي الى القضاء على فكرة تعدد
الالهة قضاء مبرما والاستعاضة منها بمذهب توحيد ظاهر لا يشوبه شيء
سوى أنه مادي . ولكن للأسف كان ما يصلحه الملك باليد اليمنى يفسده
يسراه ، اذ رفع نفسه الى مرتبة الالهة ، وأصبح يعبد في جهات مختلفة ،
ونُصبت الكهنة لاقامة عبادته ، هذا الى أن المذهب الجديد دخل
عليه تغيير في عقائده حتى بعد اعتراف الحكومة بأنه دين البلاد الرسمي .
وقد ظهر ذلك جليا في اختلاف أسماء أتون ؛ اذ أطلق عليه لقب أغرب
مما سبق ذكره وهو « رع (الشمس) يعيش ، أمير الأقفين ، وهو الذي يتمتع
على الأفق باسمه — الاله الذي ينبعث من الشمس »

عن النابيل
التي تمثل
الاله

ومن النقط الهامة التي خالف فيها المذهب الجديد التقاليد القديمة ،
الشكل الظاهري الذي كان يمثل فيه الاله . وذلك أنه في بادئ عهد الإصلاح
الديني ، أي في خلال السنين الأول من حكم امنحيب الرابع ، كان يمثل
المعبود أتون كما ذكرت آنفاً على شكل المعبود القديم رع حوريس ، ولكن
لما أصبحت عبادة التوحيد هي العبادة الرسمية قضى على كل مظهر يمثل الاله
على شكل انسان ، وعُي كل صورة أو تمثال يمثل الاله ، وأصبحت العبادة
مقصورة على الشمس الظاهرة المضيئة ، وكانت تمثل اذ ذلك على صورة قرص

مستدير يرسل أشعة طويلة ينتهي كل منها يد قابضة على علامة الحياة مانحة
إياها الملك وأسرته بصفتهم المثلين للإنسانية

والظاهر أنه لم تقيم معارضة جدية لادخال هذا المذهب الجديد في
أى جهة من جهات القطر، اذ لم نسمع بقيام أى حركة ثورية تناهض الملك،
بل أن السواد الأعظم من عمال الأقاليم خضعوا صاغرين لأوامر فرعون؛
ومن أظهر منهم أى معارضة كان نصيبة للزل من منصبه بل قد يكون
جزاؤه القتل

على أن أمد هذا المذهب لم يدم طويلاً؛ اذ لم تكند توارى التراب جثة
أخناتون، بعد أن جلس على عرش مصر ثمانية عشر عاماً؛ حتى هبت عاصفة
على تلك النهضة الدينية التي صرف فيها هذا الملك طول حكمه، فقام أتباع
المذهب القديم وعلى رأسهم كهنة طيبة، وبذلوا جهد طاقاتهم في السعي وراء
إعادة الآلهة الأقدمين، وفتح مباديهم ثانية للتعبد فيها واسترجاع ضياعهم
وأبلاكهم المقتصة. وقد حاول صهر امنحتب وخلفه على العرش (لأن ذلك

الملك الزائع لم يترك ولداً يعقبه على عرش مصر) أن يقاوم الحركة التي قامت
ضد الإصلاح، فكان نصيبه أن خلع عن عرشه سريعاً. وكان ذلك دوساً
شافياً خلفه وحيه «توت عنخ آتون»، اذ رأى بثاقب رأيه أن مذهب
آتون لا يمكن أن يبقى دين البلاد الرسمي، وأن الطريقة المثلثي لحفظ عرشه
وبقاء ملكه أن يصلح ما بين العرش وبين أتباع المذهب القديم. فأعاد حربته
عبادة الآلهة الاقدمين، وأعلن للملاّ اعتناقه عبادة آمون ذلك الآله الذي
كان منذ هنيئة مضطهداً أيما اضطهاد

وكما أن امنحتب قد غير اسمه لأنه يشمل كلمة امون المحرمة عنده

انتشار للمذهب
الجديد

توت عنخ آمون
يشطر الى
الرجوع الى
المذهب القديم

كذلك غير « توت عنخ اتون » اسمه الذى كان يشمل لفظة آتون المهرمة،
غير اسمه الى « توت عنخ امون » (تمثال امون المحلى). ثم
توت عنخ امون خضع لمتعضيات الأحوال، فهجر مقر ملكه فى تل المارئة وانتقل بوليجه الى

طيبة حاضرة البلاد القديمة. على ان الملك الذى يحى مذهب المنحطب الرابع
من البلاد جملة هو « حور اعجب » خلف الخلف الثانى* لثوت عنخ آمون؛
اذ ازال من عالم الوجود معبد اتون الذى كان لا يزال باقيا الى هذه اللحظة،

وقامت فى طول البلاد وعرضها جملة شعونه على كل شىء بخلد ذكر عابد
الشمس (اختاتون) أو اسرته أو الهة؛ فحيت اسماءهم وصورهم أينما عثر عليها
بذلك ظهر الدين القويم واتصرا انتصارا مينا، ولكن الثمن كان غاليا،
الذهب الجديد جملة

اذ كان فى ذلك القضاء على تلك الحياة الدينية التى كان أحسن ثمارها تلك
العقيدة الجديدة التى أخرجها ذكاء المنحطب الرابع. وبذلك وقف كل تقدم
فى هذا المذهب الجديد

وعلى ذلك أصبح امون ثانيا صاحب المسكنة الأولى التى لا يتنازع فيها
منازع بين آله المصريين. واستمر كهنته على طريقتهم القديمة، أى طريقة
التوفيق والتأليف بين المذاهب المختلفة فأخذوا يشهدون قرانهم ليظهروا امون
بأنه « هو الواحد الأحد الذى لا ثانى له »

وتتمثل ميول السكينة الرحيمين ومبتدعاتهم الدينية فى تسبيحة طويلة
للمعبود امون وهأنذا أقتبس لكم منها نموذجا أو نموذجين :-

الحمد لك يا امون رع، أنت أيها الثور الذى يسكن عين الشمس، يا اله

* وهو الملك آتى والمعروف عنه من الآثار انه حكم أربعة أعوام - راجع

كتاب العالم جوتييه فى أسماء الملوك

الظورنى أنت أيها الواحد القديم فى السماء وأقدم (الالهة) فى الارض،
 يا رب القانون ووالد الآلهة، الذى خلق ما علا وانخفض (يحمل
 أنه يعنى الأجرام السماوية وبنى الانسان)، وللذى يفيض نوراً على العالم،
 والذى يقوم بسياحة موفقة فى السموات؛ أنت يا أيها الملك ربح المبارك، أيها
 المسيطر على العالم، أنت يا غنياً فى قوته وممتلكاً بعثاً، الحمد لك
 يا خالق الآلهة، يا رافع السموات، وباسط الأرض يا اله الكل
 الذى خلق الأبدية، يا أيها الملك الرفيق للتوحد بالتاج الأبيض،
 يا اله البهاء الذى خلق النور، يامن تسبح بحمده الآلهة، الحمد لك يارب يا اله
 الحق، يامن قدوسه لا يرى، أنت يارب الآلهة، أنت «خبروع» فى سفينتك
 بأمرك تستيقظ الآلهة، أنت «أتم» الذى ذرأ بى الانسان، أنت الذى
 خلق كل شئ، موجود، الناس برأت من عينيك، والآلهة من فيك. أنت
 الذى خلقت الأعشاب النضرة للأنعام، والأشجار التى تحمل الفاكهة
 للناس. أنت الذى ترزق الأسماك فى التهر، والطيور تحت السماء، وتمنع
 ربح الحياة للكائنات التى لا تزال فى برجمها، وتمنع ابن الدودة، وتمنع الحياة
 للذباب، كما تمنعها للديدان والبراغيث، وترزق الفيران ما يحتاج اليه فى
 أجهارها الحمد لك يامن خلقت كل هذا. أنت أيها الملك
 يا صاحب السلطان الأعظم بين الآلهة. نحن نعبدك لأنك خلقتنا وتسبح
 بحمده لأنك صورتنا، ونشكرك وتقدسك لأنك تعيش بيننا»

تسبحة لاله
 امون ربح

وبما لا مرأى فيه انك تلاحظ فى كل هذه العبارات نعمة ظاهرة واضحة
 تنطق بمقيدة التوحيد. بيد انها فى الحقيقة مجرد عاطفة، اذ الواقع ان اللقوم
 تمسكوا باهذاب آلهتهم الأقدمين أكثر من قبل. فكان الاله امون

أعظم الالهة شأنًا وبجانبه كان «رعحوريس» محبوب عين شمس و «فتاح»
معبود منفيس لا يزالان محافظين على مكانتهما العالية بين الالهة المصرية،
وكان يسبح بحمدهما في تسايح كالتي اقتسبنا منها ما تقدم

والحقيقة انه لم يكن بين الالهة المصرية فضلاً عن ذكرنا من حظي
بمقام عظيم ومكانة سامية سوى الاله «ست»، وذلك لمدة قصيرة في عهد
الرعامسة. كان هذا الاله في بادئ الامر معبود «امبص» المحلي، ثم صار منذ

مكة الاله
ست

المصور الاولى اله الملكة الجنوبية (الوجه القبلي). ثم دخل في طائفة
«التاسوع الاكبر» لمدينة «عين شمس» ولعب دوراً هاماً في قصة أوزيريس؛
يضاف الى ذلك أن عبادته استقرت في شرق الدلتا وخاصة في مدينتي «تبس»

و«لواريس» (القنطرة الحالية) وبذلك أصبح الاله الحامي لشرق مصر. ثم
تخطى الحدود المصرية وصار الحامي لأملاك فرعون السورية. أما في مدينة

لواريس التي اتخذها الهكسوس حاضرة للبلاد بعد غزوهم مصر، فإنه أصبح
كذلك حامي هؤلاء البرابرة وعدواً للاله «رع حوريس» الذي كان يحمي
المصريين ويخوهم في ساحة الوغى ضد عدو الوطن. والواقع ان الاله ست

صار عندهم الاله «بمل» حامي القبائل والمدن السورية، غير أنه رغم ذلك
كان في نظر القوم مصري المنشأ، وفي في عداد الالهة المصرية ومكث يعبد
في مدنه القديمة. وقد اعتبره ملوك الاسرة التاسعة عشرة لأسباب لم تقف

على كنهها بالضبط جداً لهم. وقد تسمى باسمه عدد وفير من ملوكهم
مثل سبتي (ومعناه المنسوب الى الاله ست) وستنتخت (ومعناه ست قوى)
ولما نقل رمسيس الثاني مقر حكمه لمدة وجيزة الى مدينة تبس على الحدود
الشرقية، أخذت شهرة الاله ست معبود هذه المدينة تزداد كثيراً حتى أصبح

ست جد
فراصة الاسرة
الثالثة عشرة

من أهم المعبودات، وصار يضارع في مكانته الالهة أمون وحمحوريس وفتاح،
ولذلك أقيم له بدلاً من معبده القديم معبد جديد غم لاتزال بقاياه العظيمة
تشهد ببهائه النابر

وفي عهد الدولة الحديثة، حينما كانت البلاد المصرية على اتصال كبير
بغربي آسيا، دخل البلاد طائفة كبيرة من الالهة الأجنبية وقد وجدوا صدراً
وحباً ومكاناً سهلاً من الأجانب الذين كانوا يقطنون مصر اذ ذلك بل من
المصريين أنفسهم أيضاً. ويشاهد ذلك خاصة في الاله « بعل » (Baalim)

الذي اعتبر أنه هوس، وعُبد في شكل الحيوان المائل الذي يمثل ذلك المعبود، ^{دخول معبودات}
ثم الالهة « أستارت » التي كانت كالالهة بابليون تمثل في هيئة امرأة عارية ^{اجتبية في} الديانة المصرية
واقفة على أسد (حيوانها المقدس) أو على شكل امرأة برأس لبؤة على الطراز
المصري؛ ثم نجد كذلك اله الحرب « وشب » لابسا خوذة الحرب وفي يده
حرية، والالهة قادش التي كانت تلقب بمتأقبة الالهة حانحور المصرية مثل
« سيدة السماء » و « المسيطرة على كل الالهة » و « عين اله الشمس » و « بنت
رع » و « عبودية اله الشمس ». كذلك حازت « أنات » (الهة الحرب عند
السوريين) مكانة في المعبودات المصرية، ونالت شهرة عظيمة في عهد رمسيس
الثاني حتى أنه سمي باسمها أحب بناته اليه « بنت آانات »

يبدأ أنه في خلال ألف العام الأولى قبل المسيح، عندما أخذت عرا المودة بين
مصر وسوريا وفلسطين في الانحلال تدريجياً، تدهورت عبادة الاله ست لأنه
كان ولي الاسويين، وابتدأ المصريون يعتبرونه حامى أعدائهم فحسب.
ولم يقتصر الامر على ذلك بل أخذت الكهنة تصوّر بشكل بارز الدور المزوالية
في قصة أوزيريس، وأصبح يعتبر في نظريهم تدريجياً أساس كل شر؛ فإنه هو الذي

تمحور
عبادة ست

ذبح أوزير واشتبك في نضال عنيف مع حوريس المنتقم لأبيه. ومن ثم أصبح خصم اله الشمس، وممثل الظلام، ورب التصط والصعراء، والمهلك لكل شيء حي. وكذلك صار عدواً لكل خير وشيطانا بين الالهة المصرية، ثم انتهى الأمر بإخراجه من بين المعبودات المصرية، فبطلت عبادته وعفى اسمه وصورته أني وجدا. ولما وقف الاغريق الأقدمون على قصته قرنوه باله الشر عندهم « تيفون » العدو الخرافي « لزوس » فانقضت على الأول صاعقة بمد شجار عنيف وسقط في « تارتاروس » (Tartarus) *

من مصدر كل شر

وقد كان إبعاد ست من بين المعبودات المصرية آخر مظهر من مظاهر التحمس عند قدماء المصريين للمحافظة على ديانتهم التي كانت وقتئذ في التزع الأخير؛ إذ بانحطاط شأن طيبة حاضرة البلاد تدريجاً بمد طرد ملوك النوبة أخذت شهرة امون ثلاثي باستمرار. ثم انتقل مقر الملك الى الشمال ونحول معه كذلك محور سياسة البلاد، فتبع عن ذلك أن الهة الدلتا المحلية، أمثال المعبودة « نيت » الهة صا الحجر و« باستت » (القطة) معبودة بوسطه والمعبود « أنوبيس »، وبخاصة الاله أوزير وأسرته، والمعبود « حوربوخراد » (حور الطفل)، كل هؤلاء أخذت تعظم مكاتهم ويكبر شأنهم باستمرار

المعبودات المحلية في الدلتا تعظم شأنها

وبدخول المدينة الإغريقية البلاد دخلت معها عبادة « الأبطال ». وذلك أن الحكماء الاقدمين الذين كان يحج المصريون قبورهم من أقدم عبادة الابطال المصور ويحترمونهم ويعظمونهم كما يعظم المصريون الاولياء في عصرنا هذا، دخلوا في المصراع الاغريقي بين زمرة الالهة المصرية. فن بين هؤلاء نخص بالذكر « امنوتس بن حابو » المهندس الميامي البارع في عهد امنحتب الثالث،

* العالم السفلي وبخاصة المكان الذي يعاقب فيه الأشرار

أصبح يعتبر نصف اله، وصار يسبد في معابد عدة في طيبة الغربية؛ وكذلك « إمحوتب » المقدس فإنه أصبح في مصاف الالهة؛ وهو من مشاهير المهندسين المماريين المعاصرين للملك زوسر « الأسرة الثالثة ». وقد ساد الاعتقاد أنه كان صاحب حكمة وعرفان، ولا سيما في فن الطب الذى برز فيه. وكان قبره الواقع على مقربة من هرم مليكة (هرم سقارة المدرج) قبلة الذين يطلبون الشفاء من أوجاعهم؛ فشيد له في هذا العهد الجديد معبد في هذه الجهة أقيمت فيه الشعائر الدينية احتراماً وتجيلاً له، فلم يعد إمحوتب كأحد الموتى الذين تُقدّم لهم القرابين، بل أصبح الحيا، وقرر الكهنة أنه ابن الاله فتاح. وقد اعتبره الاغريق الههم « اسكليوس » اله العلاج لتشابه صفاتهما. وقد سرت عبادة إمحوتب من منف الى سائر أنحاء البلاد. وبلغ من شدة احترام القوم له ان أقام له « بطليموس فدفلف » معبدًا في جزيرة الفيلة المتاخمة لحدود النوبة.

يبدأ أن كل الالهة المصرية تلاشت حيناً أدخل بطليموس الأول في وادى النيل الهة الجديد « سيريس » باحتفال مهيب. وسبب ادخال هذا الاله في البلاد المصرية على ما روى أن « بطليموس سوتر » رأى في منامه أن ينقل الاله الأعظم « زوس هيدز » (Zeus Hades) من ميناء سينوب على البحر الاسود الى مصر. فحقق بطليموس هذه الرؤيا ونقل الاله المذكور الى الاسكندرية في موكب حافل حضره عدد عظيم من علماء اللاهوت من الأغريق. والمصريين من بينهم منيتون المؤرخ المصرى القديم. وقد اعترف به القوم وعرف بالاله « سيريس ». يبدأ أنه لم يقف احد الى الآن على كنه هذا العبود. وغاية ما يمكن استنباطه أن بطليموس قد بلغ بسله هذا أمنيته

سرييس
اله الجديد

فقد صير المعبود الجديد الحقا للعالم الاغريق المصري، تحنى امامه كل رعاياه على السواء الروس اجلالاً واحتراماً . وفعلأ رأى فيه الاغريق اكبر آلهة العالم اذ كان يمثل في شخصه « زوس » اله السماء و « هليوس » اله الشمس و « هنيوز » اله العالم السفلي . ورأى فيه المصريون من طريق تشابه الاسماء علاقةً بالمجل أيس اله الموتى ومعبود مدينة منف (الذي كان يسمى بمد مماته ازريس ايس) . فاعتقدوا ان الاله الجديد « سرييس » هو « ازريس ايس » الههم القديم

وقد راجت عبادة سرييس في مصر بسرعة مذهشة . ويلوح أن سكان وادي النيل من أغريق ومصريين كانوا قد ينسوا من عودة مجد الهتهم الأقدمين ، وأصبحوا يتطلعون الى قوة سماوية جديدة ، وبذلك صار سرييس اله مصر عامة في عصر الاغريق والرومان . بيد أنه لم يكن في استطاعة هذا المعبود أيضاً أن يبعث حياة دينية جديدة في قوس أهل مصر . والحقيقة أن الزرع وتشيد كان قد نضج للتعجل ، اذ على أثر تخريب معبد « سرييس » بالاسكندرية في عهد تيودور الأكبر أول امبراطور مسيحي ، حطم تمثال هذا المعبود الأكبر بضربة من معول جندي ؛ وعندئذ ضربت الوثنية المضربة الضربة القاضية . وبزوال « سرييس » تمزق شبل الديانة المصرية ولم تبق لها قائمة بعد

الانتهاء على
الوثنية المصرية

المحاضرة الثالثة

المعابد والاحتفالات

« المصريون قوم يخافون الله أكثر من أى شعب آخر ». هذا هو حكم
هيرودوت على سكان وادى النيل من الناحية الدينية فى القرن الخامس قبل
الميلاد . ولا مشاحة فى أن حكمه عليهم فى هذا المصر المتأخر كان ينطبق
عليهم فى عصور تاريخهم الأولى . والواقع ان العاطفة الدينية كانت متقدمة
عند المصرى فى كل عصوره ؛ فكان همه دائماً أن يحقق ارادة الله ، فيقوم له
بما عليه من الفروض الدينية ولا يرتكب أى اثم فى حرم معبده . وكان يخصص
فى كل بيت مصرى حجرة تشتمل على مقصورة صغيرة فيها تمثال الاله أو
صورته ، حيث كان أفراد الاسرة يؤدون فروض العبادة ويقربون القرбан .
وكان ينصب فى الطرقات أحياناً معابد صغيرة ، وتعد فى الحقول موائد القرбан
ليضع عليها الفلاحون قرايبتهم

ومن المحتمل أن مصر من هذه الوجهة كانت شبيهة بملكة كاثوليكية
بأوروبا الحديثة ، حيث يصادف الانسان فى كل خطوة من خطواته تماثيل
القدسين ومعابدهم . حتماً ان المراكز الدينية القليلة الأهمية لم يصل اليها من
آثارها إلا النثر اليسير ، والمعابد العظيمة لا تزال خرابها الضخمة تنبئ عن
عظمتها وروعتها السابقين .

وليس لدينا من الآثار ما يدلنا على شكل المعابد المصرية قبل الأسرات
الاصور والنقوش الهيروغليفية الصغيرة . ومن هذه نعلم أن المبد كان عبارة

عن كوخ صغير (حجرة صغيرة) مقام من الخشب أو خص من القصب ، وأمام
 هذا الكوخ كان ينصب عمودان ، وعلى وجهة بابه لوحان مائلان من الخشب
 للروثق . وكانت البقعة المقدسة في المعبد تحاط بسياج حتى لا يدخلها إلا من
 كان عنده جواز بذلك

المعابد المصرية
 قبل الأسرات

وبابتداء عصر الدولة القديمة كان شكل المعبد المصرى قد درج نحو
 الرقى بدرجة محسوسة تميزه عما كان عليه في هذه القفطرى ، فأصبح يشاد
 من اللبن ومن مواد أخرى أشد صلابة كالصخر الجبرى بل الجرانيت أيضاً .
 وكان يزين داخله بالمعد وتحتل جدرانها بالنقوش البارزة . ولا بد أن نعرف
 هنا أننا لم نقف الى الآن إلا على نوع واحد من المعابد التى كانت تقام فى هذا
 العهد . وهذا النوع يختلف اختلافاً بيناً عن النوع السادى فى ترتيبه * .

ارتفاع
 المعابد المصرية

واقصد بذلك معابد الشمس المشهورة التى كانت تشيدها فراعنة الأسرة
 الخامسة فى مداخل « بوسير » الواقعة على بعد عشرة أميال من جنوبى أهرام
 الجيزة . وقد كشف عن أحدها بين عامى ١٨٩٨ و ١٩٠١ وأصبح كله ظاهراً
 للعيان . ومشيدته هو الملك « نوسرع » . وهاك وصفه : يصل الانسان الى
 الرتبة التى أقيم عليها للمعد بطريق مرتفع تدريجياً من المدينة الواقعة فى
 الوادى ، ثم يدخل الزائر من باب غمضخم يؤدى الى بهو عظيم مكشوف كان
 مقاماً فيه مسلة عظيمة الحجم متكئة على بناء منطلى بكثرة من الجرانيت
 الأحمر . وكان امامها مذبح عظيم مشيد من كتل ضخمة من المرمر . وعلى
 يمين الداخل فى المعبد ممر مستوف ينتهى بغرف ذخائر المعبد ، وفيها كانت تحفظ

معابد الشمس
 ووصفها

* ضربت صفحاً هنا عن معابد الأهرام التى كانت مخصصة لمعبدة الفراعنة فى

الدولة القديمة . انظر المحاضرة الرابعة

أواني التبريد وغيرها من الأشياء الثمينة. وعلى يسار الزائر يمر مثل سالفه يحاذي الجدار الجنوبي ثم ينحطف الى جهة الشمال وينتهي بقاعدة المسلة؛ وعند هذه النقطة ينحني هذا المر على شكل سلم حائزوني يؤدي الى مسطح مكشوف . وكان عند قاعدة المسلة معبد صغير مزين بنقوش بارزة دقيقة الصنع تمثل الاحتفالات المختلفة التي كانت تقام في اعياد الملك. ومن أهم هذه الاحتفالات عيد وضع الحجر الأساسى لمعبد الشمس . والظاهر أن هذا المعبد الصغير كان عبارة من حجرة اللبس التي كان يستعملها فرعون عند الاحتفال بعيد تنويمه ، فكان يترنن فيها بملابس الاحتفال الفاخرة على اختلاف ألوانها

أما المعابد العظيمة التي شيدت في عهد الدولة الوسطى (أى في النصف الثانى من الألف السنة الثانية قبل الميلاد) في أمهات المدن المختلفة كطيبة و« قفطه » ومدينة القيوم و« بوسطلة » و« تنيس » فلم يبق لنا الأيام منها معبداً تاماً، إذ خربت كلها تقريباً في عهد الهكسوس، ذلك العهد الذى سادت فيه القوضى والاضطراب، وما بقى من انقاضها استعمله الفراعنة ثانية في بناء معابد جديدة . غير أنه مما لا شك فيه ان تخطيطها كان قد ارتقى الى الخط الذى اتبع بعد في تخطيط المعابد في الأزمنة المتأخرة . فلنجهده اذن للوقوف على كنه هذا التخطيط ونصوره في مختلنا :

كان يؤدي الى تلك البقعة المقدسة (المعبد) طريق داخل المدينة مرصوف مزين كلا جانبيه بتماثيل ابى الملوك أو غيرها من الحيوانات الراضة التي كانت تقدس عند المصريين . ويحيط بالمعبد جدار من اللبن . ويدخل الانسان من بوابة عظيمة مشيدة من الحجر لها طنق محفور عليه رمز الشمس

معابد الدولة
الوسطى لم
يبق منها
شيء يذكر

المجئحة . وأول ما يعترض الزائر بمد اجتياز هذه البوابة « ييلون » عظيم : وهو عبارة عن باب ضخم ذى برجين مشيد أمام وجهة للمبد الضيقة . وبعد اجتياز هذا « اليلون » يرى الانسان نفسه فى ساحة واسعة مكشوفة مزينة وبف المبج جوانبها بالعمد . وفى وسطها المذبح العظيم الذى كان يجتمع حوله الاتقياء فى أيام المولسم والأعياد . وكان محظوراً على العامة أن يتجاوزوا حدود هذه الساحة الى داخل المبج . أما المبج الحقيقى فوانع وراء هذه الساحة ذات الممد . وهو مشيد على رصيف صناعى مرتفع عن الساحة . ولا بد أن يشتمل على ثلاثة محال : الأول بهو صغير ذو سقف مقام على عمد ، ويليه بهو الممد ، وكان هذا يشاد عادة على شكل كنيسة ذات ثلاثة صحنون متوازية أو سطها شاهق الارتفاع والصحنان الجانبيان منخفضان . ومن هذا البهو يصل الانسان الى قدس الاقداس وهو القمر الحقيقى للاله . وقد جرت العادة أن يشتمل قدس الاقداس على ثلاث مقاصير متلاصقة . فى وسطها كان يوضع تمثال الاله الأعظم (تمثال المعبود آمون) فى طيبة مثلاً ، وفى المقصورتين الآخرين كان يوضع تمثالاً للمعبودين المكملين للثالوث ، فى طيبة كانت الالهة موت واله القمر « خنسو »

على ان تصميم المعابد المصرية فى مجلته كان يشبه بيت المصرى القديم ؛ اذ كان الأخير يقسم كذلك الى ثلاثة اقسام بلى الواحد منها الآخر : فالأول للاستقبال وهو ما يقابل فى المبج بهو الممد ، والثانى للولائم ، والثالث خاص بصاحب البيت . وبالنظر لهذا التشابه بين المبج والبيت ، كان المصريون محققين كل الحق فى تسمية المبج « بيت الاله » . وكما أنه من البدهى أن المصرى النبيل كان لا يكتفى بثلاث حجرات فى منزله ، كذلك جرت العادة

تصميم المبج
كتصميم البيت

أن تشاد في معبد الاله حجر أكثر مما ذكرنا؟ فكان بهو المعبد عادة مفصولاً عن قدس الاقداس بقاعات أخرى اضافية ، وكان يبنى حوله كذلك عدة حجرات صغيرة قد تبلغ نحو الاثنى عشرة . وكانت المابد في المصور المتأخرة خاصة، تشتمل على محراب مبنى امام قدس الاقداس خصيصاً للقارب المقدس الذي كان يوضع فيه تمثال خاص للاله .

وخلافاً لهذه المابد البسيطة التصميم كان هناك معابد أخرى أعظم حجماً وأكثر ابداعاً في التركيب . وسأكتفي هنا بذكر معبدى الأقصر والخورنق (الكرنك) اللذين لا يمكن ارجاع نظام هندستهما الى ما وصفت تصيح مبدي
 أنفاً . ويمكن تفسير وجه الشذوذ في هندسة هذين المبدین بأنهما لم يشيدا
 على حسب تخطيط واحد، بل كانا نتيجة تخطيط عدة وضعها معماريون مختلفون. المابد السابقة
 وعلية ذلك أن كل فرعون من الفراعنة كان يجب أن يشيد لنفسه هيكلًا نفقاً على شكل جزء مضاف للمعبد الأصلي فيقاخر بذلك أسلافه . ولهذا السبب نجد أن معبد الكرنك له ما لا يقل عن خمس بوابات (شيدها ملوك عديدون) الواحدة تلو الأخرى ، وأن معبد الأقصر به ثلاث ساحات عظيمة وقد جرت العادة أن يخصص مكان للحيوان المقدس الذي كان يتجسد فيه الاله على الأرض . فكان العجل أيس معبود منف يتخذ مقامه على مقربة من معبد الاله فتاح وهو الاله الذي يتمص ذلك العجل . وقد عني الملك «بستمتيل» بتجديد مأوى العجل ايس ، فصار يشتمل على ساحة مكشوفة مأوى
 المحيطها بهو يرتكز سقفه على عمد يستند عليها تماثيل الملوك والالهة . الميران المقدس
 وكانت جدرانه كجدران المعبد مزدانة بالرسوم والنقوش البارزة . كذلك كان في مدينة « ارسنيوى » من أعمال الفيوم بحيرة على مقربة من معبد الاله

« سبك » . وكان القوم يستنون بالمحافظة على التمساح في هذه البحيرة لأنه

كان المظهر الذى يجسد فيه الاله سبك

وقد روى لنا فى ذلك « استرابون » السائح الرومانى الذى زار مصر فى عهد

التمساح وعبادته الامبراطور اغسطس ، ما يأتى :

« كان التمساح يعيش على الخبز واللحم والنبذ التى كان يقدمها له الزوار

الذين يقدون لمشاهدته . وقد رافقنا رب المنزل الذى كنا بضيافته الى البحيرة

ومعه فطيرة صغيرة وجزء يسير من اللحم المشوى وزجاجة نبيذ . وعند

وصولنا وجدنا التمساح نائمًا على الشاطئ ، فتقدم اليه الكهنة ، وفتح واحد منهم

فيه ، ودس آخر فيه الفطيرة ، ثم أنبجها باللحم ، وبعدئذ أفرغ زجاجة النبيذ أيضًا .

وعند ذلك اندفع التمساح فى الماء هائمًا الى الشاطئ الثانى . ثم ظهر زائر آخر

يحمل هدية كالسابقة فأخذها الكهنة منه وهروا حول البحيرة وأطعموها

التمساح كما فعلوا من قبل

وكان يوجد خارج المبد الأصلي (فى دائرة جدران السياج العام) عدة

مقاصير ، ومساكن للكهنة ، ومبان شاسعة خاصة بالفلاحة ومخازن للفلال ،

المبد
مدينة صغيرة

وحظائر ، وحدائق ورك . فكان المبد ومرفقاته شبيهًا بمدينة صغيرة

ويشاهد فى المابد المصرية ان المسطحات المساء ، كسطوح جدران

البوابات والساحات والقاعات وغيرها من الاجزاء المخصصة للمباداة ، كل

هذه منقطعة بالصور والنقوش المبرر وغليظة وذلك من أقدم المصور ، فكانت

الجدران الخارجية كجسوان البيانونات والساحات (أو بمباراة أخرى كل أجزاء

جدران المابد
تغطي بالنقوش

المبد التى كانت عرضة لأن يراها عامة الناس) ينقش عليها مفاخر فرعون

الديونية : كالشجاعة التى أظهرها فى ساحة الوعى ضد عدوه وتخليد

الأعياد المظيمة التي أقامها وغير ذلك من الحوادث الهامة في تاريخ حياته .
من ذلك أننا نرى مغلداً على جدار إحدى ساحات معبد الذير البحري في ^{بنية حتشبسوت}
طيبة الغربية ، تلك البعثة التجارية التي أرسلتها الملكة حتشبسوت الى بلاد
بنت (الصومال) أرض الروائح العطرية ، وعودتها الى حاضرة الدولة تحمل كل
أنواع التحف والطرف . وكان النرض الأول من هذه النقوش أن يتصور
الناظر اليها مقدار ما كان عليه فرعون من قوة وجلال

أما جدران المعبد الداخلية فكانت موقوفة على تمثيل الاحتفالات الدينية
التي تقام داخله . فنرى عليها الملك مرسوماً بزيه الرسمي مائلاً أمام الآله ،
يقدم له البخور أو يصب الماء ، أو يهدي اليه نبيذاً أو لبناً أو فطيراً أو أطوافاً
من الأزهار ، وفي مقابل ذلك يكافئه الآله بالحياة (وهي أئمن هدية) في
شكل أشاة هيروغليفية مدلولها « الحياة » . وفي مناظر أخرى نرى فرعون
تتوجه الهتا الجنوب والشمال ، أو نرى الله المعبد الأكبر ينقش اسم فرعون
على شجرة الجيز المقدسة حتى يضمن بذلك تخليد حكمه . وكثير من هذه
المناظر لم يرسم إلا لمجرد الزخرف ، ولكن غيرها كان مرتبطاً بالطقوس الدينية
الخاصة بالجزء الذي هي فيه من المعبد . فكثيراً ما نرى في حجرة الاستقبال

الملك يصب عليه الإلهان حوريس ونحوت الماء المقدس ، وبعد ذلك يسير الى
الحضرة الالهية مطهراً من كل غبار الحياة اليومية : أو نزاه في قدس الأقداس
وهو يؤدي كل أنواع الطقوس الدينية أمام المركب المقدسة

ولا بد أن نترف هنا ان معظم هذه الرسوم والصور مقشاه * لا ينكاد

(٥) يلاحظ مثل ذلك فيما يكتب من الآيات القرآنية والأحاديث وغيرها على

جدران المساجد - المترجم

يشابه النقوش في كل المعابد
يكون فيه تغيير وخاصة في معابد العصور المتأخرة . ونرى هذا التشابه للمل
بعينه في الكتابات الهيروغليفية المرافقة للرسم ، إذ الواقع أنها صور مما يليقه
الملك أمام الآله وما يجيب به الآله الملك . فيحيط فرعون الآله علماً مثلاً
المرات أنه أحضر له الروائع المطرية والخيزر والنبيد، ويحييه الآله، وأراً وتكراراً
أنه « سيهبه كل الحياة وكل السكينة وكل الخلود وكل الصحة وكل سرور
القلب » ، أو أنه « سيهليل سنى حياته أبدياً ويسوده على عالم مغمم بالسرور »
أما الأواني المقدسة التي كانت تستعمل في العبادة ، كالآباريق والطاسات
والأوعية التي كان يحفظ فيها كتب الأدعية والصلوات ، والمباخر وهلم جرا ،
فلم يبق لنا منها إلا التزر اليسير . فإن هذه الأدوات التي كانت تحفظ في
معبرات المعبد
معابد البلاد العظيمة ، والتي كان معظمها يقدم هدايا من فرعون ،
رغم وفرتها ، سقطت غنية باردة في أيدي غزاة البلاد ولصوص المعابد في
خلال الثورات العظيمة التي كانت تنتاب البلاد وتقلبها رأساً على عقب .
وقد أصاب مثل ذلك السفينة المقدسة وتمثال الآله ، وهما أهم مشتتات كل
معبد . إذ كان تمثال الآله يصنع غالباً من خالص الذهب أو الفضة أو شبه
المذهب ، أما القارب المقدس الذي كان يحمل فيه الآله على الأعناق باحتفال
حيي ، فكان يصنع من مواد ثخينة محلاة بالذهب أو الفضة أو الأحجار
الكرمية . أما زخارف مباني المعبد فلا يزال باقياً منها شيء ، وفير . إذ في
كثير من المعابد ترى المسلات التي كان يقيمها فرعون على ما يظهر احتفالاً
يوم تنويمه ، لا تزال شائعة برأسها إلى يومنا هذا أمام مدخل بوابة المعبد .
وكذلك نرى في ساحات المعبد وقاعاته تماثيل الآلهة والفراعنة لا تزال قائمة
ذات هيئة وجلال

ويتضح من قراءة الرموز الهيروغليفية التي على هذه الآثار، أو التأمل في الصور والنقوش البارزة التي على الجدران، أن المعبود لم يشيد إلا لتخليد ذكرى فرعون، وأنه هو الفرد الوحيد الذي منح شرف التعرّب من الآلهة ومخاطبته. والظاهر أن ذلك كان صحيحاً نظرياً، إذ كان الملك وحده الحق أن يخدم الآلهة بدون وسيط، وله كذلك أن يشاهده ويتابعه. أما في الواقع فكان الأمر عادة غير ذلك. إذ لم نسمع باحتكار الملك هذا الحق لنفسه إلا في أحوال نادرة. من ذلك أنه لما سار « يميني » ملك ايتوبيا (يحيى للظفر) من جنوب مصر إلى قلب الديار المصرية حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، دخل مدينة « عين شمس » كغيرها من البلدان وزار فيها معبد الشمس الذائع الصيت

« صعد الملك ليرى إله الشمس في قدس الأقداس، فوقف الملك هناك منفرداً، ثم فُض خاتم الزلاج وفتح مصراع الباب، وشاهد أباه رع (إله الشمس) في قدس الأقداس الفاسخ. وشاهد كذلك قارب رع في الصباح وقارب « أنم » في المساء. ثم أوصد مصراع الباب ثانية ووضع عليهما الطين وختمهما بالخاتم الملكي. وبعدئذ أعطى الأوامر للكهنة قائلاً: أنا (وضعت هنا) خاتمي وليس لأى إنسان من الملوك الذين سيأتون بعدى أن يدخل ههنا »

وكانت العادة المتبعة أن الكهنة أيضاً يتاجرون الآلهة باعتبارهم نواباً عن فرعون. وكان من واجباتهم أن يقوموا بأداء حاجيات الآلهة: فلباسه ويحماؤه ويزيدوه بحليه وينظفوا حبرته الخاصة - قدس الأقداس - ويحرقوها بالروائح الزكية. وإذا كانت كل معاداة في البلاط مع فرعون تتطلب مراسيم

بناء للمعبود
لتخليد ذكرى
فرعون

والكهنة بنو برون
عن فرعون
في خدمة الاله
وتقاليد صارمة، فلا غرابة اذا كانت مناجاة الاله تستلزم ما هو اشد منها وأدق ؛
وكان عند الكهنة كتاب طقوس ثابت ضابط لصيغ الاحتفالات والصلوات
اللازمة للاقترب من الاله وخدمته . فكان لا بد لكهنة طيبة اتباع امون
أن يؤدوا ما لا يقل عن ستين شعيرة دينية ، أما كهنة أوزيريس في مدينة
الشمش الديفية ابدوس (العرابة المدفونة) فكانت واجباتهم أهون من ذلك ، اذ كان عدد
الشعائر التي يؤدونها لا يتجاوز الست والثلاثين

وكان لكل احتفال صلاة خاصة ترتل فيه ولا بد من اجادتها تمام الاجادة.
وكثيراً ما كانت هذه الصلاة تنقش على جدار المعبد نفسه فيستطيع الكاهن
أن يقرأها من الجدار

فتلاً حينما كان يدخل الكاهن بهو المعبد بالعرابة المدفونة وفي يده
المبخرة كان من واجبه أن يردد الكلمات الآتية :

« مثلاً أمامك أيها الواحد العظيم بعد أن طهرت نفسي

« ولما مررت بالالهة « تفنت » طهرتني

« أنا كاهن هذا المعبد وابن كاهنه

« أنا كاهن حضرت لأقوم بعمل ما يجب عمله ولم آت لأعمل ما

لا يجب عمله »

وعند ما يصل الكاهن أمام المقصورة حيث يتخذ الاله مقعده ، يجب
عليه أولاً أن يفض الخاتم العتيق الموصد به الباب ، واذا ذاك يرتل العبارة
الآتية :-

« لقد كسر العتيق ودمر الخاتم ليفتح هذا الباب ، وكل ما اعمل من شر
أتى به الى الأرض . »

ثم يقرأ تعاويذ أخرى فيفتح أمامه الباب . فيبدأ الكاهن بتحية الصل
المعظم القائم على حراسة المعبود، ثم يدخل قدس الأقداس ، حتى إذا بلغ تمثال
الاله شرع في تزيينه كما تزين الأحياء قهرياً . فيبدأ بخلع ثيابه ثم يزيل من
جسده الدهان الأحمر القديم وزينه بدهان جديد، ثم يأخذ في إلباسه
ملابس جديدة . وهو في كل هذه الأعمال يقرأ الأدعية والصلوات جاعلاً
لكل عمل منها صيغة خاصة . ولا يزال بالمعبود يلبسه وزينه ، حتى إذا جعله تزيين الاله
على أحسن هندام وأجمل رونق غادر مقصورته وسد عليه الباب بانخاتم مرة
أخرى . وكانت عملية التزيين الالهى هذه تعمل كل صباح بنفس الإجراءات
التفصيلية المتقدمة ولزومها كل يوم

ولم يكن لللبس والمسكن كل ما يلزم اعداده للاله ، بل كانت من
الضرورى قبل كل شئ مده بالأكمل والمشرّب . وقد كان لتلك المسكنة
الاولى في كل الأزمنة . ففى بادئ الأمر كان يقوم بتقديمها أهل التقوى ومن
أشربت قلوبهم حب الدين ، اذ كانوا يقدمون لإلهتهم باكورة ثمار حقولهم
وحداتهم ، وكل ما لذ وطاب من خيرات بيوتهم . بيد أنه على كثر الأيام
تلاشت هذه الهدايا أمام القرابين العظيمة التى كان يقدمها الملك الى المعابد
فى جميع أنحاء البلاد : وفى مقدمتها الكميات الوفيرة من البخور والأزهار
لزينة الذابح ، والشهد والخبز ، والتقطير ، والماشية والدجاج ، وبخاصة الأوز ،
والجمعة والنبند

على أنه فى الواقع لم يستعمل من كل هذه القرابين فى شؤون الاله الآ
جزء ضئيل جداً وهو البخور وما يقدم لئناس من المشروبات . حقاً ان الذابح
كانت توضع على موائد القربان فى فناء المعبد ، لكنها لم تكن تحرق فى النار

القرابين فى
الواقع تأسكتها
خدمة المعبد

كما كانت العادة عند أمم أخرى ، والحقيقة ان معظم المأكولات والمشروبات التي كانت تقدم للمعبودات يأكلها الكهنة وصغار المستخدمين . أما القرايين الوفيرة التي تقدم في أيام المولسم والأعياد ، فكان جزء عظيم منها تولى به الولاثم لزوار المعبد . وبها يظهر المبود في معبده من كرم الضيافة لزواره ما يظهره للمرء في بيته

وكان لسكل معبد أعياد كثيرة في كل سنة . وقد روى هيردوت أن المصريين كانوا الى عهدهم يجتمعون مرات عدة خلال السنة ليقوموا بالأعياد . وتمثل في هذه الاجتماعات الروايات الدينية . فيمثل الكهنة الحوادث الهامة في تاريخ حياة الاله الذي يحتفل بعيدة . ففي المراهبة المدفونة مثلاً كانت تمثل قصة الاله ازريس . وذلك بأن يسير موكب الاله من مبدية بالمدينة الى مقره الأزلى في الصحراء ، وهنا يمثل الكهنة وغيرهم المعركة العظيمة التي قضى فيها ازريس على أعدائه القضاء المبرم

الاعباد
في المعابد

وكذلك كانت تعقد احتفالات فيها يزور إله إلهاً آخر في معبده في

موكب مهيب ، فيقدم للإله الزائر وأتباعه الأطعمة من اللحم وأنواع الكمك .

تراور الالهة
في الاعباد

ومن هذه الأعياد ما نعرف عنه شيئاً يسيراً من النقوش التي على جدران المعابد ، كالاحتفال بعيد الضحية الذي يقام تكريماً لإله الحصاد المسى « من » في نفس اليوم الذي يحتفل فيه بعيد تنويع الملك

ومنها ما وصلت اليه عنه معلومات دقيقة ، ككيفية الاحتفال بها في العصر المتأخرة في مدن الوجه البحرى مثل بوسطة ، وبوصير ، وسائس (صا الحجر) ، وبوتو ، وغيرها تعظيماً لآلهة تلك المدن . ومن أشهر هذه الاعياد عيد المبودة « باستت » كلمة بوسطة . فقد روى هيردوت أن

المختلفين بهذا العيد كانوا يتقاطرون رجالاً ونساءً على هذه المدينة من أطراف
البلاد في زوارقهم . وقد كان هذا العيد آية في الانس والسرور ، اذ كان
الوافدون اليه يمرحون ويلعبون ويلهون طوول طريقهم الى بوسطة ، وكان
صدى الفناء والموسيقى يملأ سطح الماء ، فالنساء يضربن على الدفوف والرجال
يلعبون على المزمار وبعضهم ينفون أو يعفنون ، وقد تنزل الجماعة منهم
أحياناً بقية من القرى التي يبرون بها فيقومون فيها بكل أنواع اللعب

وعند ما يصل الوافدون بوسطة قبيلتهم يفرجون القرايين العظيمة ؛
ويقال انه كان يحتمى في هذا العيد من الحر أكثر مما يحتمى في كل البلاد
في سائر العام ، كما قيل ان عدد الزوار الذين اشتركوا في أحد هذه الاعياد
بلغ ما لا يقل عن ٧٠٠,٠٠٠ نسمة . وقد يكون هذا العدد مبالغاً فيه ،
غير أنه مما لا مشاحة فيه أن بوسطة كانت تضم بين جدرانها في مثل هذا
العيد من الزوار ما تضمه مدينة طنطا الحالية مثلاً أيام المولد الأحمدي

وكان عدد التسابيح والاعاني التي ينشدها الكهنة ودعمااء القوم معددين
منافب آهتهم عظيمًا . وبعضها يثير شعوراً دينياً طاهراً وينبئ عن حماس
شعري يحد له مكاناً فسيحاً حتى في صدور القراء في وقتنا هذا ، غير أن
المدلول الدقيق لمعظم هذه الاعاني يضع . بكثرة تكرار العبارات تكراراً
مملأً جداً . وقد اقتبست لكم في محاضرتي الثانية نماذج من هذا النوع من
الأديان ؛ وربما يكون عندكم الميل لسماع شيء آخر لتكثرتوا لأنفسكم
فكرة عن شكل هذه القصائد ومحتوياتها .

وسأبتدى بترجمة بعض آيات من تسبيحة للإله تحوت (وهو هرميس
عند اليونان) وفيها يعتدحه القوم بأنه إله القمر ثم إله العلماء ثم قاض :

صد
السيرة بلس

مدلول
الاعاني الدينية

« انى آتى اليك أيها النور بين النجوم ، أى تحوت ، أنت أيها القمر الذى فى السماء . أنت فى السماء ومع ذلك يفيض بهاؤك على الأرض ، شعاعك تسيح
الاله تحوت
يدير مصر

لحمد لك أنت يا رب الالهة المقدسة (الميرغلفية) ، أنت أيها القاضى فى السماء والأرض . أنت يا واهب الكلام والكتابة ، وما نفع السلع ومالى البيوت (بالخيرات) ، يا من يعلم علم الآلهة ، وما يجب نحوم »
وكذلك تجلب جمال التعبير وصدق الشهور فى تسيحة نرتل خطابا للاله «أمون رع» ملك الالهة وفيها يتدح هذا المعبود بأنه هو الاله الأعظم الموجود فى كل شئ . وهي :

« يا الهى يا رب كل الالهة يا أمون رع طيبة
أمدد الى يدك ونجنى

اشرق لأجلى (كالشمس) أجبنى ثانية

أنت الاله الأحد الذى لا شبيه له .

أنت الشمس التى تشرق فى السماء

أنت (الاله) « أتم » الذى برا الانسان

أنت تسمع دعاء من يدعوك

أنت تخلص الانسان من يد القوى

أنت تمنح نسيم الحياة لما لم يخرج بمد من البيض للناس والطيور

أنت تخلق ما نحتاج اليه الفيران فى أحجارها والدود والبراغيث »

وبلاحظ أن كثيرا من هذه العبارات ينطبق بوجه خاص على اله

الشمس وبشابه عبارات التسيحة المنظمة التى وضعا الملك الزائف اخناتون

تسيحة
الاله أمون رع

وهي التي أسلفنا الكلام عليها في المحاضرة السابقة

لم تكن خدمة للمابد في أقدم عصور الأمة المصرية وفقاً على طائفة خاصة من الكهنة، بل كانت حقاً مشاعاً لكل أفراد الأمة. حقاً كان لكل معبد خدّمة الخاصة الذين يقدمون له الضحايا ولا يقترون لحظة عين عن خدمته، غير أنه في الوقت نفسه كان لكل فرد من عليّة القوم فضلاً عن وظيفته

الدينيّة ووظيفة أخرى دينيّة. وكان لهذه الأخيرة غالباً علاقة بالوظيفة الدينيّة. مثال ذلك أن القضاء كانوا غالباً كهنة «ممت» الهة المدل، وكان حكام الأقاليم غالباً رؤساء كهنة المعبودات التي تحمي مقاطعة كل منهم

الوظائف
الدينيّة حتى
مشاع في
أول الأمر

وقد زعم هيردوت أنه كان محرماً على المرأة أن تشغل وظيفة كاهنة سواء أكان ذلك لمعبود أو معبودة. وهذا قول لا نصيب له من الصحة فيما يتعلق بالمعصور الأولى من التاريخ المصري. فقد كانت النسوة وقتئذٍ يستخدمن في المرأة تكون
المعابد، وكثيراً ما نجد ذكر الكاهنات وخاصة في عبادة الإلهات كالالهة حاتحور والمعبودة نيت

وفي عهد الدولة الوسطى كان عدد الكهنة الرسميين لا يزال قليلاً بالقياس إلى غيرهم. ففي معظم الأحيان كان للمعبد كاهنان فقط، وإذا زاد على ذلك فلا يتجاوز الخمسة، يضاف إلى هؤلاء طبعاً عمال من الدرجات الصغرى كالباوين والحراس والقفلة على اختلاف أنواعهم. وفي بعض المعابد كانت مناصب الكهنة الرسميين تشمل منصب «رئيس الكهنة» أو كما يسميه المصريون أنفسهم «نائب الكهنة»، غير أن هذا المنصب كان يشغله عادة رجل من غير رجال الدين هو حاكم المقاطعة. وذلك جرّياً على عادة قديمة. فكان بذلك لهذا الحاكم السيادة السياسيّة والدينيّة في مقاطعته. وأصبح من واجبه

الكهنة
الرسميون

منصب
رئيس الكهنة

أن يسهر على صالح رعاياه من الوجهة الدينية . ولا شك أن إضافة هذه الوظيفة الى عمله زادته شرفاً ورفعة كما أكسبته فوائد مالية وفيرة . يضاف حامل آخر ذو مقام سام بين الكهنة الرسميين في كل معبد يسمى المقرئ الأول ، وكان يعتبر عالماً بالعلوم اللاهوتية في معبد الكهنة ، وهو الذي عنده علم الكتب المقدسة ويعرف الكتابة ويحيد القراءة قبل كل شيء . وعمله أن يرتل الكتب المقدسة جهراً . وكان ملماً بأساطير الأقدمين متضلماً في متون السحر ، ولا عجب إذن ان كان ينظر اليه كأنه ساحر عظيم ، كما لا غرابة في أن مقرئ الكهنة في مصر في عهد الفطرة قد اشتهر وافي الأساطير المتداولة بأعمال المقرئ . بأنهم اتوا بفضل حكمتهم بكثير من المعجائب والثرائب والأشياء الخفية

وكان عند المصريين عدا الكهنة الرسميين جيش جرار من الكهنة غير الرسميين أو كهنة الساعة كما يعبّر عنهم المصريون أنفسهم . وكانت تضمهم جماعة منتظمة دائمة تنسب الى المعبد ، وكل جماعة تقسم الى أربع فرق تقوم كل منها بخدمة المعبد مدة شهر بالتناوب ، فتخدم كل واحدة ثلاث نوبات في العام . وكان لكل فرقة رئيس خاص وكاتب للمعبد ومقرئ ، أو بمباراة أخرى كان أعضاء هذه الفرق متعلمين تعلماً عالياً ، ولا شك انهم كانوا يعملون في الحياة الملكية في صف الكتاب أو المستخدمين . وفي حين كان الكهنة الرسميون يتمتعون بمرتبات عظيمة يجيئونها من دخل المعابد الوفير ، كان كهنة الساعة يتقاضون مرتبات ضئيلة جداً . والحقيقة أن الجزء الأعظم من دخلهم كان من وظائفهم المدنية ، أما وظائفهم الدينية فكانوا يؤدونها في مقابل أجر زهيد جداً ، يدلنا على ذلك ما وجد في دفاتر حساب الدولة المتوسطة . فقد ذكر أن دخل أحد المعابد كان ينشر شهرياً ، فيتقاضى منه رئيس كهنة

كهنة الساعة
والفرق بينهم
وبين الكهنة
الرسميين

الساعة (أى رئيس الكهنة غير الرسميين) ثلاثة أسهم فقط ، فى حين أن رئيس الكهنة المقرنين ، وهو فى الحقيقة أقل من سابقه رتبة ومقاماً ولا يتنازعه إلا بأنة من الكهنة الرسميين ، كانت يتقاضى نصف ذلك للقدار أى ستة أسهم . يضاف الى ذلك أن هذا كان يتقاضى مرتبه اثنتى عشرة مرة فى السنة ، أما اخوه من كهنة الساعة فكان لا يأخذ مرتبه إلا ثلاثة أشهر فى العام بالنظر الى تناوب العمل بين الفرق كما أسلفنا

والآن نذكر حقيقة ذات شأن فى تاريخ المدينة ، وهى انه لما جاءت الدولة الحديثة التى أعقبت طرد المكسوس من البلاد ، واخذت العناية تجدد لها مكاناً رحباً ويعظم شأنها فى نفوس القوم وحياتهم ، فصلت فرقة كهنة الساعة من عداد الكهنة المصريين ، وقُصرت كل أمور العبادة على الكهنة ^{نصر الرعايا} ^{على الكهنة} ^{الرسميين} الرسميين وأصبح لا تنازع فيها منازع . ومن البدهى أن عدد هؤلاء قد ازداد بذلك زيادة عظيمة . فان كثيراً من الأعمال التى كانت من واجبات كهنة الساعة انتقلت بطبيعة الحال الى الكهنة الرسميين ؛ يضاف الى ذلك أن ادارة ثروة المعابد الوفيرة التى كانت فى ازدياد مستمر ، تطلبت استخدام عدد عظيم من العمال أما حدود عمل كل كاهن ونوعه فيمكن الوقوف عليه من اسم وظيفته والألقاب الأخرى التى يحملها . فتلاً « الذى الأول » أو رئيس كهنة امون « كان فى الوقت عينه يحمل لقب « المدير الأكبر للأشغال » وكانت ذلك يقضى بأن يأخذ على عاتقه اعمال البناء الشاسعة الخاصة بالمعبد وأن يعمل ^{رئيس الكهنة} ^{وأعماله} على ما يكسبه (الاله) بهاء فى مقصورته . ومن ألقابه كذلك « قائد جيوش المعبد » . ولذلك كان يقود جنود المعبد ، ومثله فى هذا كهل رئيس الأساقفة فى القرون الوسطى بأوربا . ومن أعماله أيضاً رئاسة المالية . فكان يدير

حركة مالية المعبود وهذا في الحقيقة عمل لا يستهان به . ولم يقتصر نفوذه على معبد الاله امون وكهنته ، بل كان رئيساً لكهنة الهة طيبة وكذا رئيساً لكهنة جميع الهة الشمال والجنوب . ومعنى ذلك ان كل كهنة البلاد كانوا تحت اشرافه ، وان في قبضته اكبر سلطة دينية في كل البلاد من أقصاها الى أقصاها . وقد عرف كيف ينتفع من تلك السلطة تمام الانتفاع ، فانه كلما خلا منصب رئيس الكهنة في معبد من المعابد الأخرى ، (كرئيس كهنة معبد الشمس في هليوبوليس) وما يليه من المناصب ، لم ينصب فيها أحد الا من وقع اختياره عليه . وبهذه الكيفية أصبح في يد كهنة طيبة أموال طائلة فوق ما لهم من القوة السياسية العظيمة ؛ اذ كان دخل المعابد القديمة العظيم يتدفق الى خزائن هذه الطائفة وحدها . وسيظهر لنا جلياً بعد ما عاد على الدولة من الأخطار من جراء ذلك

ومن حسن المصادفات أن لدينا مصادر وثيقة عن الخطوات التي كان يدرج فيها الفرد حتى يرقى الى أعظم رتبة دينية عند قدماء المصريين . فقد روى « بكنخنسو » الذي كان رئيساً لكهنة امون بطيبة في عهد رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر ق . م ، في تأريخ حياته الذي كتبه بنفسه ، أنه تربى تربية حربية في أحد اصطبلات فرعون من الخامسة الى الخامسة عشرة من حياة بكنخنسو عمره . وفي السادسة عشرة التحق بمجموعة أشهر المعابد المصرية فجعل عندئذ كاهناً صغيراً . ولما ناهز العشرين اجتاز هذه الدرجة الدنيا ، فارتقى الى الدرجة التي تليها وهي « اب الاله » . ومكث في هذه الدرجة اثني عشر عاماً . وفي سن الثانية والثلاثين رقى الى درجة « نبي » فسكت « رئيس الكهنة الثالث » (نبياً ثالثاً) مدة خمسة عشر عاماً ، فنبياً ثانياً مدة اثني عشر عاماً . وفي

التاسعة والخمسين من عمره نصبه فرعون منصب « أول انبياء امون ورئيس رؤساء كهنة جميع الالهة ». وقد أظهر نفسه في مركزه الجديد اباً شفيقاً لمروسيه، فربى شبانهم ومد يد المساعدة لمن كانوا على شفا السقوط وبذل عن سعة لمن عجزهم الفقر بنابه

على أنه لم يكن في مقدور كل فرد أن يرقى في حياته ذلك الرقى الباهر الذي ناله بكنهه خنسوء اذ الواقع أن الأفراد الذين كرسوا حياتهم للكهنة كانوا كأمثالهم في سائر أنحاء الدنيا، يطلون طول حياتهم في وظائف صغيرة، وهمون بالبقاء بين جدران المبد في سكونية وطمانينة بيمدين عن هموم العالم وأحزانه، اللهم إلا من منحهم الله مواهب عظيمة أو من عضدهم ذوجاه ونفوذ

وكان زى الكهنة في العصور الأولى أيام كانت طائفة الكهنة الرسميين قليلة العدد، لا يختلف كثيراً عن زى سائر الناس. ولم يكن بينهم من امتاز بملبسه إلا رؤساء المعابد الكبرى، فكانوا يرتدون شعاراً معيناً شامة لعظم مكانتهم. زى الكهنة من ذلك أن رئيس كهنة فتاح كان يحلى بحلى خاصة في رقبته، مزينة بصور حيوانات هجينة الشكل ساذجة، يدل أسلوب صنعها على أن منشأها لم يكن من العصر التاريخي بل يرجع الى أقدم عصور الفطرة. وكذلك كان بعض أفراد الكهنة يرتدون جلد فهد على أكتافهم بمثابة جزء من زهم الرسمي

ولما أخذ شأن الكهنة يعلو ويكبر في أعين القوم، وازداد عددهم وعظمت قوتهم في عهد الدولة الوسطى، شرعوا يوجهون عنايتهم تدريجاً لجمال ملابسهم تدل على أنهم طائفة خاصة متميزة عن سائر بني الانسان، وبقوا كما بقى قساوسة العهد الحالى محافظين على ملابس العصور الأولى الساذجة متجنبين

طريف الازياء ، وتخلوا في الوقت نفسه عن التحلي بالشعر المستعار ، الذي كان اذ ذاك ترى السائد ، ومشوا في الطرق علقين ودوسهم محافظة على النظافة وفي المصور المتأخرة بقي الكهنة متمسكين بهذه الظواهر بشدة عظيمة أكثر من قبل . وذلك في وقت كانت المحافظة فيه على الآداب من الأهمية بمكان ، اذ كانت روح القومية في التزع الأخير وكان القوم يعملون بشدة على أحيائها باتباع عوائد أجدادهم القديمة

عائظهم على
التدبير

وقد روى لنا هيردوت بكل صراحة أن الكهنة كانوا يخلقون الجسم كله مرة كل ثلاثة أيام ، حتى لا تأوى الحشرات جسد من يخدمون الآلهة وكذلك كانوا يلبسون أردية من الكتان وأحذية من صنع « يلبوس » ، وحرّم عليهم أن يلبسوا غير هذه الملابس أو ينتعلوا غير هذه النعال . وكانوا يستعمون مرتين بالماء البارد نهاراً ومثلها ليلاً . وغير ذلك كثير من العادات التي كان يجب عليهم الخضوع لسلطانها

الكهنة
يتمسكون
بالنظافة

وقد أضاف هيردوت في هذا المقام أنه عند وفاة رئيس الكهنة كان يخلفه ابنه في عمله . حقاً أن توارث الوظائف من الأب لابن كان شائعاً ، غير أن ذلك لم يكن قاعدة مطردة . ولم يحدث في أي عصر من عصور التاريخ المصري في طائفة الكهنة الرسميين أن يضطر الابن إلى أن يخدو جدو والده في حرفته ، ويحرم عليه الاحتراف بأي مهنة أخرى . غير أنه يرجح أن الأب (كما يشاهد في كل عصر) إذا رأى نفسه يرتفع في محبة العز والرخاء من جراء وظيفته الدينية ، وذ من أعماق قلبه أن يرى ابنه أو أولادهم يتممون بها باقتفاء أثره فيها . وبهذه الطريقة يجوز أن بعض الامتيازات أو الوظائف الخاصة بقيت في أسرة واحدة مدة أجيال

وظيفة الكاهن
لم تكن وراثية

وقد كان سد حاجات الاله المدة كالتقرايين وبناء المعابد الضخمة ، ودفع
مرتبات طائفة رجال الدين الكثيرة العدد ، مما لا يمكن القيام به دون أن
يكون لذلك منابع ثروة وفيرة . والواقع أن القراعة اعتادوا من أول الأمر
أن يفيضوا على معابد البلاد الخيرات الجزيلة ويهبوها الضيع وغيرها من
الأملاك المتنوعة . هذا بالإضافة الى ما كان يتدفق من الهدايا الوفيرة الى
منايع ثروة
المعابد من
التذود والطلايا
خزائن الاله في ظروف خاصة ، كالنذر أو أن يكون الاله قد لحظ الملك
بصايته في أمر خطير الشأن .

وأول عطاء وعاء التاريخ من هذا النوع ما قدمه الملك زوسر (الأسرة
الثالثة) الى « خنم » معبود مقاطعة الشلال . فان لدينا وثيقة مطولة عن
هذا النذر جاء فيها أن الفيضان انخفض سبعة أعوام في حكم هذا الملك ، فتم
البؤس ، وانتشر الحزن والأسى بدرجة قصوى في أنحاء البلاد ، وتمشى الخوف
والجزع في قلب الملك ووليجه بحالة شديدة . ولما لم يجد فرعون مخرجاً من
هذه المضائق لجأ الى الحكيم « المحوب » الذي صار بعدئذ عند قدماء
المصريين اله الطب ، وطلب اليه أن يرشده عن المكان الذي « ينبع منه
النيل » وعن المعبود الذي يسيطر على تلك الجهة . ولما لم يكن في مقدور هذا
الحكيم أن يجيب فرعون على الفور رجاء أن يمهله مدة ينسب فيها كي يطلع
على الكتب المقدسة في هذا الموضوع ، ثم انصرف من عند فرعون
ولم يلبث أن عاد اليه سريعاً وكشف له عن « العجايب الخفية » - عن قصة قصص
السنين السبع
الطريق الذي لم يره ملك من الملوك منذ حضور سحقة . فروي أن
النيل ينبع من مدينة في وسط المياه اسمها جزيرة النيل الواقعة على حدود
بلاد النوبة السفلى . وكان الماء عندها يسمى « الفتحتين » وهي مهد النيل .

أما إله هذه الجهة فهو الملبود « غنم » ويقع باب معبده في الجنوب الشرقى . وكذلك كان يعبد هناك الالهتان « سانت » و « عنقت » زوجتا غنم ؛ هذا فضلاً عن عبادة النيل نفسه والآلهة « شو » و « جب » و « نوت » و « أوزيريس » و « حوريس » والاهتين « إزيس » و « نفتيس » . وتوجد على مقربة من هذه الجزيرة على الشاطئ الغربى ، جبال شاذغة تشتمل على جميع أنواع الأحجار والمعادن الصلبة التى تلزم فى بناء كل معابد الوجه القبلى والوجه البحرى ومقابر الملوك وتحت منها كل أنواع الثمانيات . والمقصود هنا بالطبع هو الجرائيت الجليل الذى كان يقطع من أقدم العصور من المهاجر المهاجرة لبلدة « سين » (اسوان) الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . يضاف الى ذلك ان كل أنواع الأحجار الكريمة والمعادن من ذهب وفضة ونحاس وحديد ولازورد وغيرها كانت تستخرج من كلا شاطئى النيل ومن الجزر التى فى هذه البقعة من النهر

فلما سمع فرعون تقرير المحبوب الحكيم امتلاً قلبه فرحاً وأمر بتعريب القرايين الى الهة والمئات الفيلة الآفة الذكر

وقد رأى الملك مناماً فى الليلة التى تلت هذا الحادث : فرأى الاله « غنم » واقفاً أمامه . وبعد أن قدم إليه واجبات الاحترام والتعظيم أفاض الاله اللثام من فمه قائلاً :

« أنا الإله غنم خالقك وحاميك . أنا أعطيتك المتاجم والمعادن التى لم يكشفها أحد فى كل عصور التاريخ والتى لا تزال بكرماً ، تشبى بها المعابد وتصلح ما أفسده الدهر منها ، لأنى أنا الخالق الذى ذرأ نفسه والمحيط الأبدى الذى ظهر أزياء ، أنا النيل الذى يفيض حينما يشاء ، أنا مرشد كل انسان فى

عمله أنا أملك الفتحين اللتين منهما يفيض النيل . أنا أعرف النيل
. سأجعل النيل يفيض لأجلك . ولكن يفيض ماؤه في أى سنة
من السنين ، وستنمو الأشجار بأثمارها من الفاكهة وستشرح أقدسة القوم
بدرجة لم تشهد في الأزمان الغابرة »

وعند انتهاء العبارة السالفة اتقبه فرعون من منامه . ولما كان السرور
قد ملأ صدره لما وعده به الاله ، أصدر أمراً بوقف كل أقليم الشلال الواقع
على ضفتي النيل على الاله « خنم » اعترافاً له بالجليل

ويحتمل أن أمثال هذه المنح من الأرض كانت توهب للمعابد في كل
المعصور ، غير أن ممتلكات الآلهة في الدولة الحديثة ازدادت على الأخص لتمتصها
بالنصيب الأوفر من الثنائيم التي كان يحجبها فراغة الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة
عشرة من حروبهم المظفرة مع الممالك النائية . وكانت هذه الهدايا تعتبر
بمثابة جزية يستحقها الاله الذي على يده نال فرعون النصر . ولا تزال النقوش
من عهد تحتمس الثالث وسيتي الأول باقية الى عهدنا هذا وفيها بيان المطايا
الفرعونية التي قدمها الملك الى الكهنة

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ، وثيقة من أواخر حكم رمسيس
الثالث (حوالي ١١٥٠ ق م) ، منها يستطيع الانسان أن يكون فكرة صحيحة
عن الثروة الطائلة التي كانت ملكاً للمعابد المصرية في هذا العهد ، فقد جاء
فيها أن ممتلكاتها لا تقل عن ١٠٣١٧٥ خادماً و ٤٩٠٣٨٦ رأساً من الماشية
و ٥١٣ حديقة و ١٠٧٤٤١٨ فدانا من الأرض و ٨٨ مركباً و ١٠١ حوضاً
للسفن و ١٦٩ بلدة بعضها في وادي النيل وبعضها خارجه . أما أتباع للمعابد

السائقو الذكر فيحتمل ان بعضهم كان من أسرى الحرب، وبعضهم من الفلاحين الأرقاء أو الصناع؛ وعليهم قلاحة الأرض، وحراسة قطمان الماشية، وكذلك كانوا يستخرون في بناء المعابد المظيمة كما كان يسخر بنو إسرائيل من قبلهم. وكان جم غفير منهم يضطرون أيضاً الى دفع ضرائب من الذهب والفضة وغيرها من المحصولات الطبيعية. وإذا قدرنا عدد الحقول الوفيرة التي كان يملكها الالهة فانه يحق لنا مع مراعاة النسبة ان نقرر أن جزءاً عظيماً من أرض مصر كان ملكاً للموتى

فاذا وازنا بمتلكات المعبود آمون بالاحصائيات الحالية امكنتنا القول بأنه كان يملك عشر أرض مصر وما لا يقل عن $\frac{1}{4}$ من عدد سكانها. وكان يلى آمون في الثراء من الالهة المصرية اله الشمس «رع» معبود هليوبوليس، ثم «فتاح» معبود منف. ومن ذلك يتضح ان الكهنة قبضوا على جانب هائل من ثروة البلاد جعل لهم في الوقت عينه سلطة سياسية عظيمة. وكانت نتيجة ذلك تشبه ما نراه في زماننا هذا في دول العالم وعلى الأخص دولة أسبانيا*

وأصبح كهنة آمون في النهاية النفوذ الأكبر في الدولة، حتى أنه بعد موت آخر الرعامسة لم يكن أمامهم عقبات تذكر في تولي العرش، فقام أحدهم فضلاً ونحى بوارث العرش جانباً وتقلد هو تاج الملك. وهذا الحادث يند في تاريخ الكهنوت المصري قمة ما وصل اليه رجال الدين من الجلاء، وهو، وان لم تدم مدة حكمهم طويلاً، دليل قاطع على تغلب رجال الدين على الساسة؛ وكان في ذلك القضاء الأبدى على المنظمة القومية

ويجس الكهنة
تولي عرش
الملك

المحاضرة الرابعة

فن السحر — الحياة بعد الموت

كان قدماء المصريين ومن جاء بعدهم من أبناء الشرق، مسلمين ومسيحيين على السواء، ممن ملأت الخرافات والخرعيلات عقولهم، ولذا نرى فن السحر قد لعب دوراً هاماً في حياتهم. فكانت التعاويذ الدواء الناجع الذي يطلب به كل أنوع الشرور، والعلاج الذي يشفي الأمراض، والطريقة المثلى التي يكتسب بها الحب رضا حبيبه. فإذا تسنى لشخص أن يضع تائب مسجورة في بيت عدوه اعتقد أن ذلك إما أن يحلب له المرض أو يسبب له حادثة. وكانت التعاويذ التي تستعمل في مثل هذه الأحوال تفضل على غيرها إذا كان لها علاقة خاصة بمحادث ما وقع في تاريخ الألهة الخراف. إذا كان القوم يستفدون أن الطرق التي استعملتها الألهة وأنت بنتيجة حسنة تأتي بالنتيجة حينها إذا استخدمها الإنسان في أحوال مشابهة لها. وكان لأساطير الألهة «أوزير» و«إيزيس» و«رع» القدح الممل في هذا الشأن. من ذلك أنه بعد أن جفت الألهة «إيزيس» بموت زوجها الحزن وضمت ذكراً في مناقع الدلتا سمته «خوريس»، واتفق أنها ذات ليلة أثناء إياها من الحقول وجدت ابنها فاقد الحياة مبللاً الأرض بدموعه وبالبزبد الذي كان يتدفق من شفتيه، جسمه هامد، وقلبه لا حراك به، وجميع أعضائه فارغاً من الحياة، فمزت هذا إلى لدغة عقرب. ولم تترك الأم المحزونة البائسة ملجأً تلجأ إليه ولا عوناً تستعين به إلا إله الشمس، فلي ندأها ووقف سير سفينته في السموات،

الاعتقاد في
السحر
وقوته

أساطير

وأرسل إليها « نحوت » إله الحكمة ليخلص ابنه ، فأعاده « نحوت » هذا إلى الحياة بتعاويذ سحرية . لذلك اعتقد القدماء أن هذه التعاويذ يمينها التي شفت « حوريس » الطفل تشفى أي ، إنسان من لدغة العقرب

على أن أكبر قوة سحرية كانت وفقاً على الدين يعلون الاسم الخفي للاله الأعظم « رع » للوجود في كل شيء . وقد مكث هذا الاله زمناً مديداً محافظاً على اسمه الخفي لا يلقبه أحد غيره إلى أن تمكنت « إزيس » الساحرة العظيمة من استلاله منه بحيلة ، ومن وقتئذ أصبح لها سلطان قوى ويطش عظيم . وقد وضعت كيفية وصولها إلى ذلك في خرافة قديمة . وهذه الخرافة تميد لنا سيرة الاله « رع » الهرم رب الالهة والناس . وكان وقتئذ قد بلغ من السكبر عتياً ، وذهب عنه بعض روعته وجلاله ، وكانت « إزيس » بوجه خاص لا تعترف بمد سلطانها ، وترغب في أن يكون لها ما له من النفوذ والقوة في السماء والأرض . ولم تر للوصول إلى ذلك إلا طريقة واحدة ، وهي أن تحفظ كل أسمائه المتعددة التي كان لا يعلمها إلا هو والتي بها صار له السلطان على العالم . فدفرت أحبولة لتستولى بها على هذا السر ، بأن أخذت شيئاً من الألعاب الذي كان يلقبه على الأرض ، ولا كتبه بطين ، وصورت منه تمثالاً ، وألقته في الطريق الذي كان الاله مفرماً بالمرور به في خلال نبحاله في دولته . وبينما كان « رع » متجولاً برفقة أتباعه من الالهة لدغته هذا الثعبان ، فصاح من شدة الألم حتى بلغ صياحه عنان السماء ؛ فسأله أتباعه والوجهل مل ، قلوبهم : ما الذي يؤلمك ؟ ما الذي يؤلمك ؟ ولكن لم يكن في مقدوره إجابتهم . وأخذ فكاه يصطكان وصرى السم في عروقه . ولما عهداً روع الاله الأعظم نادى حاشيته قائلاً : « تعالوا إلي يا من برأيتهم من لحمي ، أنتم أيها الالهة الذين خلقوا

اسم الاله
الأعظم
أكبر قوة
سحرية

إزيس تحتال
لمعرفة هذا
الاسم

منى . لقد الحق بى الضر شىء مؤذ يشمر به قلبى ولا تراه عينائى . ذلك شىء لم تصنعه يدي ، ولا أعرف أى يد صنفته . وإنى لم أشعر بمثل هذا الألم طول حياتى ، ويخيل الى أنه لا يوجد مرض أشد من ذلك . أنا أمير وابن أمير . أنا الذى له أسماء عدة وأشكال متنوعة ، صورتى تظهر فى كل الله . وكان أبى وأمى يتكلمان باسمى . ثم اخفاه (الاسم) الذى أوجدنى فى أعماق قلبى ، حتى لا يكون لأى سحر سلطان على . ولكن واعجابه ، بينما كنت متجولاً أتفقد أحوال مخلوقاتى فى أنحاء دولتى لدغنى شىء . لا أعرفه ، هل هو نار ؟ هل هو ماء ؟ ان قلبى مشتمل من شدة الاحتراق ، وجسمى يضطرب ، وكل فرائضى ترتعد ، فليحضر الى أبناء الالهة الذين ينطقون بالحكمة وتمتلئ أفواههم فهماً وتصل قوتهم الى السماء . . . »

عندئذ أتى الالهة والحزن ملء قلوبهم ، وكذلك حضرت «إيزيس» صاحبة ذلك الجرم . وهى التى تنفث من فيها ريح الحياة ، وتشفى عزماتها كل ألم ونحوي كلماتها الموتى ، فقالت : « ما الذى يؤلك ؟ ما الذى يؤلك ايها الأب المقدس ؟ لقد جلب لك ذلك المرض ثيمان مخلوق من مخلوقاتك ، قد رفع رأسه ضدك ، ولكن كل ذلك يزول أمام قوة السحر ، وسأقضى عليه امام طلعتك البهية »

ثم وصف لها الاله نوع آلامه ، فأجابته «إيزيس» : « اذكر لى اسمك ايها الأب المقدس ، فان كل من يدعى باسمه يعيش حقاً . فأجابه «روح» قائلاً : أنا الذى برأت السموات والأرض ، وخلقت الجبال وكل حى عليها ، خلقت الماء والمحيط الأثرى العظيم . أنا الذى خلقت السموات وسر أقمعها ، ومنحت الآلهة أرواحهم التى فى صدورهم . أنا الذى اذا فتح عينه يمتلئ العالم نوراً ، واذا

أنغمضها بنعيم الظلام. أنا الذى بأمره يفيض النيل ، ومع كل ذلك لا تعرف
الآلهة اسمه. أنا الذى خلقت الساعات والأيام. أنا الذى أرسل السنين ، وحد
مواقيت الفيضان. أنا الذى أصنع النار الحية ، «خبرى» فى الصباح و«رع»
وقت الظهيرة و«أتم» عند الغروب

يدأنة مع هذا لم تخف وطأة السم ، بل ازداد الوجد وبقي الاله الأعظم
يتحمل من شدة المرض. عندئذ قالت «إزيس» للاله «رع» : « هذا الذى
نظقت به ليس باسمك . اذكر لى اسمك تذهب عنك الآلام ، لأن من يذكر
اسمه يعيش » . ثم أخذ سمير السم يشتد لدرجة يتضاءل امامها لهيب النار .
فقال جلالة الاله «رع» : « اقتضت ارادتي أن تفحصنى الالهة «إزيس»
وأن ينتقل اسمى من صدرى الى صدرها »

عندئذ أخفى الاله نفسه عن الالهة ، وأصبحت سفينة الأبدية (سفينة
الشمس) خاوية . وقد أخذ اسم الاله منه بطريقة غريبة ، وحفظته الالهة
«إزيس» . ثم كررت رقية خففت آلام السم ، وعادت الى «رع»
صحته ثانية . وبذلك أصبحت إزيس ، الالهة العظيمة وسيدة الالهة ، تعرف
الاسم السحري الخفى لإله الشمس . ومن وقتئذ ساد الاعتقاد أن فى قدرة
أى إنسان أن يشفى سم الأفاعى بالرقية التى تلتها على الاله الأعظم

أما اسم رع الذى وقنت عليه الالهة وقتئذ فجهول لنا . وإذا حكمنا بما
لدينا من التعاويذ التى فى المتون للضرية ، لم نكد نجد حكمة عميقة مكنونة
بين ثناياها. إذ كانت القاعدة ان السحرة يتشتمون ألفاظاً لا معنى لها ، ويختارون
أصواتاً معينة يقصدون التأثير بفرأيتها أو شلوذها

ويرجع عهد كل الفنون السحرية الى أقدم المصور التاريخية . ففى

التفوش الدينية القديمة المعروفة عند المؤرخين بمتون الأهرام ، نجد الرقبة
لشفاء من لدغة الحية مثلاً قد انتشرت انتشاراً عظيماً في ذلك العهد . وفي
نهاية الدولة الحديثة عند ما تسرب إلى الديانة الفساد المستمر وصارت عبارة
من تكرار جمل محفوظة ، أصبح للسحر القدر المثل في حياة القوم الدينية .
فكان كلما أسرع للذبول إلى شجرة الدين النضرة ، ازداد ابتاع الأعشاب الضارة
للتلطف حولها من الخزعبلات والخرافات .

ومن أشهر الخرافات ما يلاحظه القوم عن الأيام . إذ كانوا يعملون
إلى الاعتقاد بأن أياماً معينة من السنة تكون سعيدة بوجه خاص ، وأخرى
يرافقها النحس . وفي وقتنا هذا يعتقد الكثيرون أن يوم الجمعة ، وهو يوم
صلب المسيح ، يوم شؤم ؛ وليس من الصواب أن يتبدى الإنسان فيه
سفرًا بعيداً أو يشرع في عمل خطير . وعلى مثل ذلك كان للمصريين أيام
ممدودة معلمة ، وقمت فيها الحوادث الهامة في تاريخهم الخرافي

ففي اليوم الأول من شهر اشير رقت السماء إلى أعلى عليين ، أي
فيه حدث الخلق الحقيقي للعالم ، لذلك كان طبعاً أن يعد هذا اليوم يوماً سعيداً ،
كما عدّ يوم ٢٧ هاتور ، وهو الذي تمّ فيه الصلح بين ست وحوريس ولهما
الأرض بينهما كما جاء في الخرافة المنسوبة إليهما . أما يوم ١ طوبة فعلى العكس
كان يوم شؤم ، إذ فيه نذبت الأختان ازيس ونفتيس أخاهما أوزيرس ؛ ولذلك
لا تُستحب فيه الموسيقى وكل أنواع الفناء . وكذلك كان عديم أيام سود معينة
تؤثر في المستقبل ؛ فاعتقدوا أن الطفل الشمس الذي يولد يوم ٢٣ بؤونة مصيره أن
يقع فريسة للتمساح . وكذلك كل من يولد يوم ٣ كيهك لابد أن يصم ، وكل من
ولد في العشرين من الشهر عينه مصيره إلى العمى . أما من ولد في ١٩ بؤونة

للتطير
والنفاذ
بالأيام

فهو سميد الخط : كُتِبَ له الأيموت الأبد حياة طويلة
وقد أكد لنا « هيرودوت » كل ذلك بقوله « نُسب المصريون كل شهر
وكل يوم لإله خاص وتبينوا مصير كل فرد من يوم ميلاده : يعرفون منه
كيف يموت وماذا تكون حالته في الحياة »

ويظهر أن العرافة والتنبؤ بالغيب بالمعنى الحقيقي لم يكن لهما شأن يذكر
عند قدماء المصريين . وغاية ما وصل اليها في هذا الموضوع اشارات عرضية
الى « هتفات الآلهة » التي كانت تنبئ من تماثيلهم . ومن الغريب أن هذه
الحتفات لم تظهر الا في عهد انحطاط الديانة المصرية ؛ ففي الأعصر المتأخرة
هتفات الآلهة بمدينة طيبة، صار تماثيل المعبود أمون « ملك الآلهة الأعظم » هو الوسيلة
في الفصل في الأمور حتى في مهام شئون الدولة . فكان يُحمل في سفينته
على أعناق الكهنة من مسكنه قدس الأقداس . ثم يلتقي عليه رئيس الكهنة
او الملك الأسئلة التي يراد الاجابة عليها، فيجيب الاله بحركات خاصة،
وقد يجيب ايضاً ببعض اصوات لو كانت . ولا شك ان الكهنة كانوا يعرفون
كيف يُساعد الاله في الاجابة ؛ فكانوا يتخذون لذلك خيوطاً خفية، بل قد
يمدون لذلك آلة ناطقة يخبثونها في سفينة الاله . وكانت الأجوبة تستنطق
بهذه الطريقة عينها في معبد « زوس امون » الذائع الصيت في واحة امون
« سيوه الحالية » . زار الاسكندر الأكبر هذا المكان المقدس كما هو معلوم
للجميع، فوصف بعض شهاد عيان من بين الجمل الغفير الذين كانوا في وليجته
الكيفية التي أخذ بها رأى تماثيل الاله : وذلك انه كان يُحمل في زورق من
خالص الذهب على أعناق الكهنة، كما كان الحال في مصر، ثم يسرون
بالزورق حسب ارادة الإله بإشارة منه في اى جهة شاء . وكان يسير في

هذا الاحتفال جم غفير من النساء والبنات يرتدن آيات المدح ويسجدن اسم الاله بأشعار ورثت عن الأجيال الخالية . أما لاجابة الاله فكان يمكن قراءتها من خطأ الكهنة ، إذ كان القوم يعتقدون أنهم سيترنمون بأشعار الاله المحمول فوق أعناقهم . وكما كان للسحر شأن عظيم في حياة المصري الدينية كما شاهدنا ، كذلك كان له مكانة خطيرة جداً في حياته الآخرة ؛ إذ كان ^{عند السحر} القوم يعتقدون أن كل سمادة في الدار الآخرة ، بل مجرد بقاء الانسان حياً بعد الموت ، يتوقف في الجملة على معرفة عدد عظيم من الرثى والتماويذ وكيفية تطبيقها . وكان آراء المصريين عن الحياة بعد الموت مرآة تبحر فيها اغفانهم في التفتل في درس المسائل الدينية للوصول الى نتيجة منطقية ، كما تبحر فيها تبليبل الأساطير الدينية عندهم . ولا شك أن من لم تجد السفسطة سبيلاً الى عقله يرى عادة في انقضاء الحياة فجأة سرّاً لا يقوى على فهم كنهه ، فهو لا يستطيع أن يتصور كيف ان أحداً قربائه الأعزاء كأيهم أو أمه أو زوجته المحبوبة أو أحد اخوانه قد قضى نحبهم في هذه اللحظة الواحدة ، وفارقه الى الأبد . وما ذلك إلا لأن شعوراً قوياً بالحياة يقاوم بكل شدة تلك النظرية القائلة بفنائها وعدم بعثها ثانية على الإطلاق . والواقع ان السلاوى الوحيدة ^{الحياة بعد الموت} التي يمكن الانسان أن ينم معها بالحياة ، هي اعتقاده أن نفسه خالدة بالبعث مع ما يراه من موت اخوانه حوله كل يوم . وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لا تنفر الانسان من الموت . وعلى هذا الزعم سعى قدماء المصريين كما سعى غيرهم من الأمم القديمة وكما تسمى أمم العالم الآن ، لفهم أسرار الموت وخباياه الغامضة ويجب الاعتراف بأن قدماء المصريين قد اختلفت أفكارهم في كل زمان ومكان في كيفية هذا البعث ومكانه ، فتضارب آراؤهم في هذا الموضوع تضارباً

عظيماً، واختلطت كأنها كرة من الخيط اشتبكت خيطانها. وكثيراً ما يجد القارئ في متن واحد بل في دواء واحد أو رقية واحدة المتناقضات جنباً لجنب. على أنه لا ينبغي أن ندهش لمثل ذلك كثيراً، لأننا لو نظرنا في موعظة من المواعظ التي يلقيها قساوسة عصرنا هذا في الجنائز، وأردنا أن نتفهم من خلال سطورها العقيدة المسيحية عن الآخرة، لرأينا أمامنا مورداً غزيراً من الآراء التي يجب أن نستخلص منها مرغوبنا، هذا فضلاً عن أن بعض هذه الآراء قد ورد ذكره على سبيل المجاز

مضارب
الآراء في
البعث

وكان أكثر العقائد رواجا عن البعث والنشور وأعظمها انتشاراً، بل وأقدمها عهداً عند المصريين المعقدة القائلة بأن الإنسان سيحيى بعد الموت حياة أخرى تماثل الحياة الدنيا في جميع أحوالها بدون تغيير في الشكل. فيبقى الرجل والمرأة والشيوخ والطفال في آخرتهم كما كانوا في حياتهم، وموطنهم الجبانة ومنزلهم القبر. وهناك يسيطر الرجل على زوجته وأولاده، ويخدمه خدم من الذكور والإناث. وكذلك يتاح له في حياته الأخرى كل ما كان يحلب عليه الفرح والسرور في دنياه. ومن الضروري له قبل كل شيء أن يأكل ويشرب، لحياته الآخرة موقوفة على ذلك كما توقفت عليه حياته الأولى؛ وبدونه يماني ألم الجوع وحرقة العطش. وإذا أراد اقتداه نفسه من الموت اضطر إلى حفظ ريقه بأفصح الأوساخ والافذار، وذلك بلامراء موت ثان

الحياة الآخرة
كالحياة الدنيا

وكما احتاجت الالهة أن تزود بالقرايين من المأكول والمشرب، كذلك كان الحال مع الأموات. فكان أول واجب على أهل الميت أن يقدموا له كل ما يحتاج. وكان أهل اليسار من الاقدمين يحبسون المال على قبورهم، وينصبون الكهنة لأداء القرايين اللازمة لها. أما الأثنياء التي كانت

المحصلات الطبيعية معجز من ادلتها فكان يسمى الى قضائها بالسحر والصلوات . حاكيت اليه من ذلك أن أربعة الهة ، (وهم المسمون أولاد حوريس) كانوا يقومون بحراسة احشاء الميت وابعاد الجوع والظما عنه . وكان من واجب كل مؤمن بمر بغير أن يذكر صاحبه بخير ، وكانت الكتابة التي على كل قبر تتطلب من المارين قراءة تعريضة الترحم التي تضمن للميت مورداً من الأكوالات ، وهي كما يأتي : الف أبريق من الجمعة والف رغيف من الخبز والف رأس من الماشية والف أوزة لروح فلان

وكان الأموات يؤلفون مجتمعاً خاصاً بهم في ما واهم الأخير وسط الصحراء ، وموقعه عادة في الجهة الغربية على شاطئ النيل الأيسر ، ولهم اله خاص يحكمهم . وقد جرت العادة أن يكون اله الجهة هو المسيطر على الموق أيضاً أى الحاكم « على أولئك الذين يقطنون الغرب » . فكما كانت مقاليد أمور الأحياء موكولة اليه ، كذلك كانت شؤون الموق في رعايته ، ويسمع لرعاياه الأموات أن يشاطروه القراين التي توضع على مائدته . وكان هناك عدة مدن اختصت الموق فيها بألهة معينة . ففي مدينة منف كان اله الموق يدعى « سكريس » ؛ كما كان يحرس جياتها الاله انويس الذي ظهر في شكل ابن آوى . ولما كان من عادة هذا الحيوان الطواف حول الجبانة ليلاً ، كأنه الطيف في الصحراء يحرس القبور ومن فيها في ظلمات الليل ، اعتقد المصريون ان الاله يفضل ذلك أيضاً ممثلاً في هذه الصورة حينها . غير أنه منذ الأعصر الأولى تضاءلت كل ألهة الموق حتى صارت كأن لم تكن ؛ وحل محلها اله واحد أصبح من ذلك الوقت اله الموق العام في كل مصر ، وهو الرئيس الأعظم لأهل الغرب « أزدريس . وستناول الكلام عليه بعد

عالم الموق
وآلهتهم

وكان المصري يعتقد أن الميت لا يبقى سجيناً في قبره المظلم بل يكون حراً
 الميت خارج قبره أثناء النهار ، يفادر قبره الضيق ويتجول كيف شاء على الأرض . ولكن كان
 لا بد له أن يأخذ الحذر لنفسه مخافة أن ينقض عليه أعداؤه المؤذون من
 الأفاعي السامة والتماسيح والمقارب ، فكان لزاماً عليه أن يتسلح بالتماويذ
 السحرية التي حبه شر هذه الأعداء

وقد يصطدم الميت مع الأفراد الذين لا يزالون في ميمة الشباب ، فيحصد
 الأحياء على سعادتهم ، ويسعى في جذبهم الى حافة الموت ليصيروا له خللاً
 جديداً في القرب ، وكان يعتقد نجاحه المآجل في المكان الذي يخيم فيه للرض ،
 لذلك كان ظهور الميت فيه مدعاة للخوف والفرح . فكانت الأم المحزونة
 القلب تراه ينسل الى الميت بوجه متحول وهي جاثية بجانب فراش طفلها
 ميل الميت
 لأخذ الأحياء
 أو إيذائهم
 المريض فتغاطبه بكل جسارة قائلة :

هل أتيت لتقبل هذا الطفل ؟ أنا لا أسمع لك أن تقبله

هل أتيت لإسكاته ؟ أنا لا أسمع لك بإسكاته

هل أتيت لتلحق به الأذى ؟ أنا لا أسمع لك أن تؤذيه

هل أتيت لتأخذه ؟ أنا لا أسمع لك بأخذه

وكانت الأم تعرف دواء وافيّاً تعطيه لطفلها ، يدخل في تركيبه :
 أعشاب ، وشهد ، وعظام أسماك . فإذا ما رأى الميت هذه العقاقير هلع فرحاً
 وولى الأدبار

وأحياناً كان الداعي الأكبر الذي يدفع الميت الى وجوده بين الأحياء ،
 هو حب الانتقام منهم ، فكان جل همه أن يصب عليهم كل أنواع المصائب
 وبخاصة المرض . واتفق أن ضابطاً فقد زوجته ولم يمض طويل زمن حتى لازم

الفرش ، فأخبره أحد السحرة أن مرضه هذا يحدث لأن يكون من عمل
الراحلة العزيرة

فكتب لها رسالة ووضعها في قبرها . وهي مؤثرة في بابها وغريبة في
نوعها ، وهالك نصها :

أى جرم اقترفت معك حتى أصير في مثل هذا الشقاء

ما الذى فعلته بك حتى تسألنى على يدك الآن ؟

وسيلة مريض
الى زوجته
المتوفاة
يستطيعها

هل عملت شيئاً أخفيتك عنك منذ أصبحت زوجك الى هذا اليوم ؟

لقد صرت زوجتى منذ كنت لا أزال في ميعه الشباب ، وكنت دائماً

بجانبك

ولما قلبت في أنواع الوظائف والأعمال العالية بقيت كذلك مخلصاً لك ،

ولم أتوكل أو أدخل على قلبك الحزن

ثم اذكرى أنى حيناً كنت ألقى التمليطات على ضباط فرعون من

المشاة والمحاربين فى العربات كنت آمرهم أن يقتربوا منك ليصارع الواحد

منهم رفيقه أمام عينيك . وكذلك كانوا يحضرون كل شئ طريف

ويقدمونه لك

ولما جل بك المرض ذهبت الى رئيس الأطباء فجهر لك الدواء وأدى

كل ما تريغين فيه . ولما أراد فرعون مصر أن أرحل معه الى الجنوب كان قلبى

وفكرى معك

وبقيت مدة ثمانية الأشهر التى فارقتك فيها لا يهتأ لى طعام ولا يله لى

شراب . ولما عدت الى منف (وفى خلال هذه المدة توفيت المرأة) ورجوت

فرعون في العودة اليك ، فجئت هنا ، وحزنت وقتئذ أنا وساثر أهلي عليك
حزناً شديداً أمام بيتي »

وفي اعتقادي أنه ليس ثمة حاجة الى زيادة شيء على هذه الصورة
الغلابة القريية ، كما أنه لا حاجة لتصوير فكر المصري وشموه بأكثر مما جاء
في هذه الرسالة من الوصف الجليّ الدقيق

واعتقد المصريون ككثير من أمم العالم الأخرى (كالأغريق) ان
مخلوقاً آخر محسوساً يأوى جسم الانسان ولا يرى في الحياة الدنيا . تلك هي
الروح وتسمى عندهم « باي » . وكانت تلازم الجسم دائماً في الحياة الدنيا
وتفارقه عند الموت . وقد ألف المصريون تمثيلها بالطائر مالك الحزين ، ثم
مثلوها في العصر المتأخرة بطائر له رأس إنسان فيه ملامح المتوفى . وقد نقل
اليونان عن المصريين تلك الطيور التي تمثل الروح ، وكثيراً ما ظهرت صورها
في الفن الأغريقي

وكان لا ينبغي أن تبقى هذه « الروح الحية » بعيدة عن جسم صاحبها
حراسة الروح بعد الموت ، بل لا بد من تركها حرة لتعود الى حجرة المتوفى وتبقى مع الجسم ،
وخاصة أثناء الليل حينما تقوم الشياطين حول الجبانات . ولهذا السبب كان
من الضروري للروح أن تستطيع تمييز جثتها من بين الجثث المدفونة .
يحوارها ، ولتحقيق هذا الغرض بذل المصري مجهوداً عظيماً

وكان الانسان في نظر المصريين يشتمل على أجسام نورية غير الروح ،
ويعتدروا علينا أن نحدد باليقين علاقة هذه الأجسام بالروح ، وانما نعرف أن
الكاملين أهمها « الكا » ورد ذكرها كثيراً في المتون الدينية . وفي اعتقادي أنها
ليست كما يزعم الكثيرون صورة نورية من الانسان أو مظهر آخر له ، بل

هي ملك أو جنية نحرسه . وتولد « الكا » مع الانسان ، وتراقبه طول حياته من غير أن ترى . ونحرسه بعد مماته

ذكرنا آنفاً اعتقاد المصريين أن الميت يستطيع مفارقة قبره نهائياً ، بل اعتقدوا أنه يقدر على أكثر من ذلك ، فكان في قدرته أن يتشكل بأشكال مختلفة حسب رغبته ، فيتحول الى صورة أى مخلوق أراد ، غير أنه كان دائماً عليه أن يسرق التمويذة السحرية الملائمة للصورة التي يختارها . فكان يتحول الى بجمة أو صقر أو مالك الحزين أو كبش أو تمساح أو زهرة بجمود تلاوة التمويذة

ولا مشاحة في أن علماء اليونان الذين قدموا الى مصر في الأعصر التناخري في طلب الحكمة من معابد مصر الدينية وقفوا على هذه الأفكار والآراء . ولا يبعد أن فكرة قمص الأرواح التي كان يؤمن بها فلاسفة عدة أمثال فيثاغورس وأفلاطون يرجع مصدرها الى قدماء المصريين . على اننا اذا بحثنا النظريتين من أصولهما نجد أنهما يختلفان تمام الاختلاف . فكان المصري يعتقد أن الروح أو المتوفى نفسه يمكنه أن يتشكل بأشكال مختلفة . أما العقيدة الاغريقية فهي كالفندية تقول بأن هذا القمص سواء أكان في حيوان طيب أم خبيث لا بد منه للروح بعد الموت ، اذ هو بمثابة تطهير تكفر به عن الذنوب التي اقترقتها في الحياة الدنيا

ومع ما يحيط بكل ذلك من الآراء المبهمة فالتا نجد بينهما رأياً واحداً ثابتاً وهو العقيدة بأن المتوفى وروحه كانا يسكنان على الأرض . بيد أن هناك تضارب الآراء في مقر الموق في آخر يرجع الى عهد الفطرة يقول أنهما يسكنان السماء ، ولا غرابة فان الانسان بما عنده من قوة الخيال كان يتخيل أرواح الموق في الأجرام السماوية

التي يخطئها المد والساطعة بأنوارها في القبة الزرقاء المضيئة . أما فرعون فإنه كان يمتاز بأخاذ مقعده بعد الموت في سفينة الشمس، ويسبح بين نجوم السماء ويميش عيشاً رغداً كاله الأفق (الشمس) نفسه . وعلى مر الأيام أصبحت هذه الميزة شائعة ، فصار في استطاعة كل إنسان بعد الموت أن يرافق إله الشمس خلال سياحاته في القبة الزرقاء .

وهناك رأى آخر مبين جداً لما سبق : وهو أن المتوفى كان يقبل في السماء مع طائفة الآلهة ويميش عيشة سعيدة بينهم . غير أن دون الوصول إلى ذلك عقبات حجة ، أولها صعوبة المطلق الذي كان يرقى به الميت إلى السماء ، فكانوا يتخللون الميت في هيئة طائر أو جندب ساجح في الأثير إلى السموات العلى . وأحياناً كانوا يصورونه صاعداً دوج سلم منخضم نصب في الثرب كأنه عمود موصل بين السموات والأرض تحرسه الآلهة والالهات ليل نهار . غير أنه لم يكن في استطاعة أى فرد أن يضع قدمه على هذا السلم ما لم يعلم التهيئة السحرية الخاصة به . فلا يمكن الميت البدء في الصعود قبل تلاوتها . ومع ذلك فإن السلم نفسه لم يكن ليسلم من الأخطار ، إذ قد تزل قدم الميت فيموى إلى الحضيض ، اللهم إلا إذا أخذت يده الهة وحيمة تساعد وقت الخطر وترفعه إلى أعلى . وهذه كانت كذلك تدعى بألفاظ سحرية . وعند ما يصل المتوفى إلى نهاية السلم تفتح له أبواب السماء العظيمة ويدخل في العالم العلوى . وهذا لا يختلف عن العالم الديوى الذي فارقته ، فإنه يرى منبسطة أمامه وادياً مستطيلاً يحترقه نهر عريض يتفرع منه عدة ترع وبحيرات . بيد أنه كان لا يزال أمام المتوفى سفر طويل حتى يصل إلى مقرة الأزل . فكان محتماً عليه أن يمر بحملة بحيرات لينتظر بها ويحتاز عدة ترع وفروع من النهر . ولما كان المتوفى

كيف يسهل
التوفى إلى
السماء

لا يملك زورقاً يحتاج به تلك الترع والتهيرات ، كان يضطر بطبيعة الحال أن ينادى عند كل مجاز نوى الجهة بواسطة تمويدة تشتتل اسمه السرى والعوقى مقران رئيسيان فى السماء ، وهما « حقل القربان » و « حقل البردى » . وكانوا يقطنون فى هذين المكانين بصفة ملائكة النور ، ويمدّم الناس مخلوقات أرفع منهم درجة أى كأوصاف الهة . أما فرعون المتوفى فكان مكانة الموتى لا يزال ذا مكانة عظيمة فى عالم الموتى . فانه بعد مماته يصير ملكاً مرة أخرى تحنى الالهة أنفسها الرؤس امامه اجلالاً واحتراماً . وكان يجلس على عرش الملك ويتسلم الصولجان والسيف رمزاً لما له من الجلالة والشرف يشتمل المتوفى فى حقل البردى بفلاحة الأرض التى هي أحب الحرف فى مصر . على ان هذا القلاح للنم (للمتوفى) يحى من عمله هذا ثمرة عظيمة تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يحىه فى الحياة الدنيا . فالتمسح نحو الى ارتفاع سبعة اذرع ونصف ، والسنبلة وحدها تروى على ثلاثة اذرع ونصف . فكان للموتى يمدون الأرض ويبدون البذر ويضمون الحصاد ويحزنونه ، ثم يلهون بلعب الترد فى نهاية اليوم بعد الفراغ من العمل تحت ظلال شجر الجوز وكان المصريون أيضاً يعتقدون بوجود عالم سفلى تسكنه الموتى ، وهى عقيدة ثالثة تضارب مع العقيدتين السالفتين القائلتين بوجود مأوى الموتى فى الأرض والسماء . وذلك انهم اعتقدوا ان تحت العالم للمستوى ثالثاً آخر يسمى « دوات » ، هو كعصر ، يحترقه نهر وعلى كلتا حافتيه ممرات طويلة وكهوف عميقة يتخذها الموتى مساكن لهم . فترى فى خلال النهار قافلة قفراء يحجم عليها الحزن والكآبة ، حتى اذا ما حل الظلام وتزلت الشمس فى الغرب خلف تلك الجبال الخرافية (منو) سطع نورها على الموتى . وعندئذ يشاهدون بهاء نور

وع وجلاله . ويسبح الموتي الذين في حجراتهم وكهوفهم بحمد الشمس ، وعند ما يشاهدونها تفتح عيونهم وتنتلقلهم غبطة وسروراً . وكذلك يصيحون فرحاً عند ما يرون جرم الشمس في أفقهم

وقد وُصفت سياحة الشمس الليلية في العالم السفلي وصفاً بديعاً مسهباً في الأعصر المتأخرة ، وأضيف إليه كل الزيادات التي كانت تمتاز بها معتقدات
سياحة الشمس في العالم السفلي
البيئات المختلفة في مأوى الأموات الأزلي : وذلك أنهم كانوا يمتقدون أنه

يجرى في وسط العالم السفلي نيل سفلى ، يسبح فيه اله الشمس ذو رأس الكيش يحيط به حاشية كبيرة من الآلهة ، ويقطن على ضفتي هذا النهر الجن والشياطين وكل أنواع المخلوقات الشنيعة التي كانت تحبّ إلى اله الشمس وتدرأ عنه أعداءه . وكان العالم السفلي مقسماً على مدى طوله إلى اثني عشر اقليماً ،

وهذه الأقسام مقابلة لساعات الليل الاثنتي عشرة . ويفصل الأقاليم الواحد
أقاليم العالم السفلي وحراسها
من الآخر بوابة ضخمة تحرسها ثعابين غلاظ . وعلى مقربة من كل مدخل

ثمانان ينفشان ناراً حامية والمجان لحاية البوابة . وكان لا بد لاله الشمس من معرفة أسماء هذه الثعابين والشياطين المختلفة ، إذ كانت لا تقادر تلك البوابات

حتى يفوه بأسمائها ، وإذ ذلك تفتح البوابات ويمر زورق الشمس إلى اقليم جديد وكانوا يمتقدون أن عامة البشر يسكنون في العالم السفلي على هيئة أشباح ،

يحيطون اله الشمس ، ويمجرون زورقه أحياناً في ماء النهر الضحوضاح كما يحدث ذلك عند انخفاض نيل مصر . أما فرعون المتوفى فكان يتخذ مقدمه مع اله

الشمس في زورقه ، بل الواقع أنه كان يصبح مثله ، وإذ ذلك يسمح له بالاشتراك معه في سياحته الليلية العجيبة ، على شرط أن يكون على علم بأسماء الشياطين

والثعابين السرية . ولأجل أن يزود بهذه المعلومات جرت العادة في عهد الدولة

الحديثة أن ينقش على جدران المقبرة بيان موضع الصورة شامل لكل ما
 في العالم السفلي. وقد قصر ذلك في بادئ الأمر على الملك، ثم قلده دجاء القوم ^{سباحة الملك}
 فيها بعد، حتى سرى الاعتقاد أن كل ميت يمكنه أن يرافق إله الشمس في ^{ثم الزينة مع}
 سياحته الليلية أو يقوم بها نفسه كأنه إله الشمس، بشرط أن يكون مسلحاً
 بالتأويذ السحرية الخاصة بذلك، وأن يكون معه في قبره وصف دقيق
 للعالم السفلي

على أن تلك الأفكار التي جمعت بين السهولة والتعقيد والبساطة والتنميق
 ما لبثت أن تأثرت وزاد ما فيها من الارتباك من جراء انتشار العقيدة الخاصة
 بالاله أوزيريس. ولا إخال القارئ إلا ذاكرًا أن الآلهة أوزيريس قتل بيد أخيه
 ست الشقي، ثم قام ابنه حوريس ينأرله، فهزم الآلهة ست، واطلع في أرجاء ^{النهار بين}
 أبيه إلى الحياة ثانية. وقد حدث أثناء العراك الذي نشب بين هذين الإلهين ^{ست وحوريس وما}
 أن اقتلع ست عين حوريس فقدمها هذا الإله، فكانت هذه الهدية العظيمة
 أكبر حامل في أحياء أوزيريس. على أن حوريس اضطر إلى استئصال عدد من
 التأويذ والطفوس ليتسنى له أحياء ولده تماماً. وفي نهاية الأمر عاد أوزيريس
 إلى الحياة، وأصبح مالكاً لكل قواه الجثمانية، وفي قدرته أن يتكلم ويأكل
 ويشرب. وقد ترجع على عرش الملك ثانية، غير أن سلطانه لم يقتصر هذه
 المرة على العالم الديوي بل امتد نفوذه على «أهل الغرب»، أي أنه أصبح
 ملكاً على أهل النيم من الأموات

وهاك أنشودة عتيقة لأوزيريس في هذا الصدد

يا أوزيريس، ها هو حوريس قد أتى، وهو يضمك بين ذراعيه، وقد جعل
 تحوت (إله القمر) يطرد رفاق ست ويأتي بهم أسرى أمامك. وهو الذي

جعل قلب ست يرتعد أمامك فرقا ، لأنك أعظم منه ان إله الأرض
 « جب » يشاهد جلالك ، ويحلك في مكانك ، ويحضر أخيتك اوزير .
 وفتيس الى جانبك (اذ هو والد اوزير ايضا) . أما حوريس فيجعل
 الآلهة ينضمون اليك ، ويرافقونك ، ولا يبتعدون عنك ؛ وكذلك يجعل
 الآلهة يطلقون سراحك . ويضع جب قدمه فوق رأس عدوك الذي يرتعد
 خوفاً منك . ويضرب ابنك حوريس « ست » ويأخذ منه ثانية عينه
 (التي كان قد اقتلمها ست) ويقدمها اليك حتى تكون قوى البطش بها أمام
 الملائكة (أى للموتى) ويملك حوريس تهزم أعداءك ويهزم
 حوريس ست ويرمى به تحتك فيحملك وهو يزول فرقا كما تزول الأرض ،
 والواقع ان تاريخ اوزير الخرافي كان يباد باستمرار على الأرض مع كل
 فرعون من الفرعنة : وذلك ان فرعون كان يعتبر نفسه قد حكم الناس وأسمد
 رعاياه ، ثم وافاه الموت كما وافى اوزير على يد أخيه ست . وكان يرى في
 ابنه وخليفته على الأرض متقماً له ، من واجبه كحوريس أن يمد والده الى
 الحياة ثانية . ويسهل عليه القيام بذلك اذا استعمل التعاويذ والطقوس الدينية
 القديمة التي استعملها حوريس ؛ وبذلك يفوز فرعون للتوفى على كل أعدائه
 ويصير هو نفسه اوزير وترفعه الآلهة على عرش الملك في عالم الموتى

أنشودة
اوزير

فرعون
وخليفته
كاوزير
وحوريس

أما مقر ملك اوزير في الآخرة فلم يعرفه قدماء المصريين أنفسهم
 بالتحقيق ؛ فقد ظنوا أولاً انه في جهة معينة لم يعرف موضعها باليقين ، ثم
 تصوروا أخيراً انه في الغرب على وجه عام ، كما اعتقدوا أيضاً انه في السماء في
 حقول أهل النعيم ، أو في « دوات » وهي العالم السفلى تحت الأرض
 وكانت قصة اوزير رائجة جداً بين الناس منذ المصور السحيقة . وأخذوا

يستقدون بأن البعث ثانية كأوزيريس غير مقصور على فرعون وحده، بل هو مصير جميع البشر؛ ولذلك أصبحت الطقوس الدينية التي سكنت تقام للإله وخليفته في الأرض (فرعون)، ارتكاً مشاعاً لكل متوفى؛ وصار في الامكان جعل كل انسان أوزيرساً بواسطة التعاويذ الخاصة، فينتقل بذلك الى حياة أبدية سعيدة

يبدأ أتنا نتمط قدماء المصريين حقهم ونحط من قدرهم الخلق اذا تخيلنا أن مصير الانسان بعد الموت كان في اعتقادهم موقوفاً على معرفة التعاويذ السحرية المختلفة وتلاوتها. اذ الواقع أننا نجد حتى في أقدم المتنون التي يرجع عهدنا الى المصور الأولى انه كان يتطلب من المتوفى أمور أدنى من ذلك بكثير: فلا بد أن يكون قد عاش على الأرض عيشة صلاح وعفة، وكذلك يجب اذا أراد أن ينم مثل أوزيريس أن يوجد « صادقاً » بعد الموت. وفي ذلك أيضاً تقلد الحوادث التي جرت للآلهة كما وردت في أساطيرهم

من ذلك أن الشجار الذي قام في عين شمس بين أوزيريس وست فصل فيه بواسطة محكمة، وقد خرج منها اوزيريس منتصراً، وأعلن على رموس الاشهاد أنه صادق. فأصبح لازماً على كل انسان أن يقدم نفسه الى محكمة مقدسة قبل أن يدخل العالم النرني. وكلنت هذه المحكمة تعقد جسطاتها في « قاعة العدل » ويرأسها أوزيريس نفسه، ويحايه اثنان ولربسون شيطاناً رجماً ينبعث من وجوههم عوامل الخوف والفرع: اذ كانوا يمثلون يجسم انسان رأسه وأُس صقر أو عقاب أو سبع أو كبش أو حيوان آخر وفي يد كل منهم سكين. وكذلك كانت أسماؤهم مخيفة ففيها « ملتهم الدم » و « عين اللبيب » و « كاسر النظام » و « ساق النار » و « لاوى الرأس » و « آكل الظل » الخ

الاخلاق
الفاضلة
ومروءتها
المتولى

محكمة
أوزيريس

وكان من المحتم على المتوفي أن يبنى نفقاً قاطعاً أمام كل من هؤلاء القضاة
انه ارتكب أى جريمة ، فيقول : « أنا لم أفعل ما تنقته الآلهة ، أنا لم أترك
احداً يقضى مراودة الجوع ، أنا لم احض على القتل ، أنا لم اسرق القرابين التى
قدمت للآلهة ، أنا لم أقتل . فاذا كان في قدوة المتوفي ان يبنى عن نفسه هذه الحساب
الخطايا وهو مرتاح الضمير ، يفوده الاله انيس عندئذ الى القاعة التى يجلس
فيها أوزيريس . ثم يوضع قلبه في كفة ميزان عظيم وفي الكفة الأخرى توضع
علامة العدل ، ويسجل الاله تحوت براءته من الخطايا . غير أنه كان يجلس
بجانب الميزان فرس بحر هائل مستعد لاثهام القلب اذا خف وزنه . فاذا
اجتاز التوفي هذا الحساب بسلام قدمه حوريس الى أوزيريس كما يقدم أحد
عمال القصر الملكي فرداً من الرعايا الى حضرة الملك . فيسمح له أوزيريس ان
يدخل في عالم النعيم ويصير من اتباع الاله الأعظم

وقد جمت كل الحكيم الخاصة بالحياة بعد الموت من أول عصور التاريخ
المصرى ؛ وأقدم هذه المجموعات هى « متون الأهرام » التى يرجع تاريخ بعض
فصولها الى ما قبل انبثاق فجر التاريخ . وقد أطلق عليها هذا الاسم لأننا وقفنا
متون الأهرام على أقدم صورة لها من أهرام ملوك نهاية الأسرة الخامسة وملوك الأسرة
السادسة . وفي عهد الدولة الوسطى ظهرت مجموعة أخرى تسمى « كتاب
الموتى » ، وكانت كثيرة الانتشار جداً

وصف سياحة
للمصريين
وقد وقفنا على وصف سياحة للشمس أثناء ساعات الليل الاثنتى عشرة
من « كتاب ما في العالم السفلى » ومن « كتاب البوابات » ومن كتابات
أخرى ، وما ذلك كله الأجزاء ضئيل من الآداب الواسعة الخاصة بالموتى عند
المصريين . وليس من مقاصد هذا الكتاب الكلام على جميع الكتابات التى

من هذا النوع أو شرح النظريات التي تشتمل عليها، إذ إن هذا يمدنا عن الغرض المقصود. أضف إلى ذلك أنني إذا أرحيت العنان لنفسي في هذا الموضوع أخشى أنه مما قليل يستولى عليكم الملل والسآمة

ولا جدال إننا نرى في كل مكان آثاراً تنهى عن الجهود التي كان يبذلها

المصريون لضمان الحياة بعد الموت، وتهينة كل الأسباب لحياة الروح، غير ^{المصري يحس} الحياة الدنيا أنه لا ينتج من ذلك ما ذاع من أن المصريين كانوا يحتفرون الحياة الدنيا، وأنه لم يكن لهم ممدّة حياتهم إلا الاستعداد للآخرة، إذ الواقع على عكس ذلك. فأنه قل أن تمر على شيء في شعور القوم وأفكارهم يثقل فيه الميل إلى الموت، ولذلك يكون من الشواذ إذا عثرنا على مثال كالأقي حيث نجد فرداً راغباً عن الحياة ومرحّباً بالموت كأنه صديق :-

« يقف الموت اليوم أمامي كما يرى المريض من سقائه، أو كما يخرج الإنسان ساعياً على قدميه بعد مرض أقمده، يقف الموت اليوم أمامي كالرائحة الزكية، أو كما يجلس الإنسان في يوم رق ننسيه تحت فلاح المركب
يقف الموت اليوم أمامي كأنه يجري من الماء أو كما يمود الإنسان إلى وطنه من سفينة حربية

يقف الموت أمامي اليوم كرجل اشتاق إلى رؤية بيته بعد أن غاب عنه ^{مثال فردى} لكرامة الحيا
سنتين عدة في الأسر،

ثم ترى هذا الرجل بينه وبين شيء من تخلص من الحياة الدنيا وبلغ السعادة بالموت إذ يقول :

« إن من مات سيصير في دار الآخرة الحيا يحيا يعاقب من ارتكب ذنوباً.

ان من مات سيقف في قارب الشمس ويأخذ أحسن ماله وطاب في المآب »

غير أننا نؤكد مرة أخرى ان هذه الأمثلة المنبعثة عن عواطف لاكتساب لسيئ سوى أمثلة فردية لا يستد بها . فان عامة الناس في مصر كما في غيرها من البلدان « يحزنون عند ما يفكرون في الدفن ، وهو عندم أمر تُذرف من أجله العين الدهوع ويكتئب له القلب »

وكذلك كان يحزنهم ان « الموت يتزع الفرد من بيته ويرى به على الروابي . فلن يعود ثانية لي شاهد الشمس » . وانه مهما شيد الانسان قبرا ثمينا من الجرانيت والحجر الجيري وجهزه بكل ما يلزمه ، فان ما على مائدة قربانه سيكون أقل ثلاث مرات مما على مائدة من كان بلا مأوى ، أو من أنهكهم الضنى فاثوا في الطريق ولم يتركوا خلفا وراهم

فذلك لم يكن أمام الانسان الآتى « واحد يفعله : » يتمتع بالحياة ويتحقق سبل السرور ويتشأى المموم » ، اذ لا حزن ولا ضحايا ولا مقفوس يمكنها أن تعيد الى الميت ثانية متاع الحياة الدنيا الحزن على
التمتع بالحياة

وانا نجد هذا المفزى في انشودة أخرى قديمة مشهورة جداً كانت تنشد في الأعياد المأتمية :

« ان الالهة (أى الملوك) الذين عاشوا في الأعصر الخالية يضطجعون الآن في أهرامهم . وكذلك الأشراف والحكام مدفونون في أهرامهم وكذلك الأشراف والحكام مدفونون في أهرامهم

اما الذين شادوا لأنفسهم بيوتا فقد أصبحت كأن لم تكن وإخالك ترى ما أصابها ولم يأت احد من قبلهم ليخبرنا ماذا حدث في امرهم

أُوذِكر لنا كيف عالم حتى تظلمن قلوبنا . لذلك يجب عليك أن لا تنسى
أن تكرم نفسك ، وتمتع فؤادك وتتبع هواه ما دمت حياً ، الى أن تذهب الى
المكان الذى ذهبوا اليه . فمطر رأسك ، وارتد أحسن الملابس ، وذلك جسمك
بأعجب الروائح الالهية

جل نفسك وبرز فى أحسن وأبهى منظر يمكنك أن تظهر فيه .
ولا تجعل للكتابة سبيلاً الى قلبك

اتبع ما يجليه عليك قلبك وسرور نفسك ما دمت على قيد الحياة .

لا تكدر قلبك الى أن يوافيك يوم الحزن

ولا مشاحة أن من وقفت حركة قلبه لا يسمع حزرك ، وكذلك من يرفد
فى مخدعه الأذى لا يدرك عويلك

لذلك اجعل لك يوم سرور وكن فيه طلق الحياء ، فإن الانسان لا يأخذ
متاعه معه فى الآخرة ، بل أن من مات لا يعود الى هذه الدار ثانية »

فترى أيها القارىء أن حب الحياة الدنيا ، رغم كل ما كان يبذل من ضروب
السحر وأقاوين التنجيم والتخيلات فى سبيل الحياة بعد الموت ، لم تنطفيء
جذوته حتى عند المصريين ؟ فانهم مع مبالغتهم فى الاعتناء لإتقان عدتهم للحياة
الآخرة لم ينسوا ذلك الشهور السليم القائل بأن « الحياة أحسن شئ بين
الأشياء الحسنة »



المحاضرة الخامسة

القبور والدفن

الديانة المصرية خارج مصر

تكلمت بإيجاز في محاضرتي الأخيرة عن معتقدات المصريين في أشياء الآخرة، وعن آرائهم في الحياة بعد الموت. ويجدر بنا الآن أن نلاحظ كيف أن هذه المعتقدات كان لها أثر فعال جداً في كل عادات القوم المأتمية. أثر المعتقدات في العادات المأتمية

فإن من نتائجها تلك القبور المكيئة الأركان الضخمة البنيان التي لا تزال موضع إعجاب العالم إلى يومنا هذا؛ وكذلك العناية بتحنيط الأجسام، والمطايا الوفيرة التي كانت توضع مع التوفى في مضجعه الأبدى. وسيكون بحثنا هنا في دائرة عادات كانت بطبيعة الحال عرضة لتغيير عظيم في إقبالها من قرن إلى قرن ومن إقليم إلى إقليم. فلم تكن العادات المأتمية في الدولة القديمة كما كانت في أيام الاسكندر الأكبر. ولم تكن يختلف بها في الدلتا بالطريقة التي كان يختلف بها في إقليم الشلال « سيني » الواقعة في جنوب مصر الأقصى وغرضي الآن أن ألفت نظركم إلى بعض نقاط في هذا الموضوع الذي يعتبر أعظم فروع العلوم المصرية إمتاعاً، حتى يتسنى لي شرح الطريقة العملية التي بها أبرز المصريون معتقداتهم عن الآخرة

كان أول غرض يرمى إليه المصريون أن يحافظوا على الجثة في مضجعها الأخير، وذلك بأعداد مخدع حقيقى للتوفى. وكان ماء الفيضان أكثر ما يخافونه، ويعتبرونه أكبر عدو للقبور بعد المصروض والنشالين الذين كانوا يخذلون المقابر والجبانات مسرحاً للنهب والسلب. لذلك كان من أهم

الأمر لديهم أن يتحاشوا دفن الميت في بقعة رطبة ، فيختاروا للمقبرة النابتة باختيار المرتفعات والآكام في أراضي الصحراء الرملية أو الصخرية . وكثيراً ما يقال أن قدماء المصريين لم يدفنوا موتاهم على الشاطئ الغربي للنيل إلا لأنه الأقليم الذي تقرب فيه الشمس . وفي اعتقادي أن هذا رأى غير صحيح . حقاً كانت الجبانات العظيمة في مدن منف والعراة المدفونة وطيبة وسيبى (اسوان) تقع في جهة « امتت » أو إقليم الغرب . غير أنها في مدن أخرى كتل المعارة وأخميم كانت تقع على الشاطئ الشرقى ، شرق مدينة الأحياء . ومن ذلك يتضح جلياً أن أحوال البيعة كان لها الدخول الأكبر في انتخاب الموضع الألى للتوفى حتى يكون أوفق مكان وأبعد عن الخطر ، وإذا رأينا في التون المصرية أن كلمة « الغرب » مرادفة لكلمة جبانة ، وأن الموتى يمر عنهم « بأهل الغرب » ، فنالحق أن هذه التعابير اخترعت أولاً في مدينة ماء ، ويحتمل أن تكون العراة المدفونة ، التى انفق قديماً أن جماعة الأموات كانوا مدفونين في هذه الجهة الخاصة منها

وأقدم ما عرف لدينا من القبور حفر مستطيلة ساذجة ، كانت توضع أقدم ما عرف من القبور الجبسة في الجفرة ويهاى عليها الرمل ، ثم يجمع فوق ذلك كومة صغيرة من الرمل والأحجار كما تفعل الأعراب الى يومنا هذا . ولا يهرب عن الذين أن الملك كان لا يكتفى بقبور ساذج مثل هذا . فكما أنه كان يرى في حياته مشرفاً على رعاياه كاللاردين الانزام ، كذلك كان من المنتظر أن يكون قبره أضخم حجماً وأعلى بنياناً من قبور رعاياه . لذلك كان يتدنى وهو على قيد الحياة في اعداد قبر له رفيع البنيان رائع النظر* . وكان قبر الملك في أول الأمر

* يقع قبر مينا أول ملك مصرى معروف في التاريخ بالقرب من بلدة هاده

الحالية وهي قرية من العراة المدفونة (Zeitschrift) عدد ٣٩ سنة ١٨٩٨

بناءً ضخمًا من اللبن مستطيل الشكل يشتمل داخله على عدة حجرات لا يمكن الوصول إليها من الخارج ، تدفن جثة الملك في أحدها ويخصص الباقي للقرايين التي تدفن معه . وكان يحلى ظاهر جدران القبر بحفر أبواب كاذبة عليها ، اعتقد القوم أنه بواسطتها يستطيع الملك المتوفى ترك قبره عند ما يريد ثم يرجع إليه ثانية . وعلاوة على ذلك كانت هذه الأبواب الوهمية تستعمل كموصل للقرايين التي تقدم للمتوفى ، والتي يضمها قفاه مسور أمام الباب الوهمي

قبر الملك
وممثلاته

وكان قبر الملك يشتمل فضلاً عن ذلك على لحود صغيرة عدة للنساء وأقزامه بل وكلايه ، وكانت هذه تدفن في اللعظة التي يدفن فيها فرعون . ولا مبالغة إذا قررنا أنها كانت ندماءه وخلائه في حياته ، وأنها كانت تذبج وقت جنازته حتى لا يفرق الموت بينها وبينه ، وبذلك يستطيع أن يستمر في التمتع بها في حياته الآخرة . ولما ارتقت عواطف الانسان وتهدبت طباعه على مر الأيام حذفت هذه القرايين البشرية من الطقوس المأتمية ، واكتفى بوضع تماثيل اخدان الملك وجلسائه أو ضروبهم في قبره بدلاً من أشخاصهم

ما يدفن مع
الملك

وعلى مر الأيام ارتقت هذه القبور الساذجة المشيدة من اللبن تدريجاً حتى أخذت شكلاً هرمياً . وقد بقي هذا الشكل خصيصاً بالمدافن الفرعونية الهرم واسمه الهرم ، ولا يزال إلى يومنا هذا رمزاً ودليلاً على واذى الثيل . ومهما كان من شأن الهرم ، حتى هرم خوفو الذي يبلغ علوه ٤٨٠ قدماً ويقارب ارتفاعه أعلى ما صنعه الانسان ، فإنه لا يخرج عن كونه كومة مائمية أقيمت فوق قبر الملك تغالى الانسان في تضخيمها والتألق في وضعها . وقد جرت المادة أن يشتمل القبر على حجرة واحدة أو أكثر تحت الأرض ، إلا أنها كانت أحياناً تبنى في جوف الهرم نفسه ويتوصل إليها بمر ضيق ، يمتد بسده

بعد الدفن . أما حجرات الحرم الداخلية التي كانت تخصص واحدة منها لتابوت الميت ، فكانت في الأصل مارة من كل زينة . وقد بقيت كذلك حتى أواخر الأسرة الخامسة أي حوالي عام ٢٥٤٠ ق . م . ومن وقتئذ ابتدأت الفراعنة تنقش على جدرانها متوناً دينية خاصة بالحياة بعد الموت . وهذه النقوش هي المروفة بتون الأهرام ، وقد تكلمت عنها في محاضرتي السابقة . متون الأهرام وتعتبر أهم مصادر لمعلوماتنا عن الديانة المصرية في نشأتها الأولى . وكان ينقص الأهرام المكان الذي تقدم فيه القرابين للروح ، مع أنه كان ضمن محتويات أقدم القبور الملكية

وقد سد فرعون هذا النقص بتشييد معبد خاص لروحه في الجهة مبد الحرم الشرقية من الحرم . وكان هذا المبد يزور كما يبد الآلهة بالكتابات والنقوش البارزة . والظاهر أن تماثيل الملك كانت توضع في حجرة خاصة بها في هذا المعبد

ولما رأى عظماء الدولة الملوك يشيدون الأهرام المظيمة ، لم يكتفوا بالمقابر الساذجة التي كانوا يشيدونها لأنفسهم ، وأخذوا يقيمون لجثثهم مقابر أمتن منها بفياناً . وكان نموذجهم أيضاً القبر الساذج المحاط بكومة : وذلك أنهم كانوا يختون في أصل الصخر حجرة تحت الأرض ، يوضع فيها التابوت ، ويتوصل إليها بئر عمودي يبلغ عمقه أحياناً نحو ٥٠ قدماً ، ثم يقام فوق هذه الحجرة بناء مستطيل أملس من الحجارة أو اللبن . ويطلق المصريون الحاليون على كل المقابر التي من هذا النوع نقطة مسطبة ، لتشابهها بالمسطبة التي تبنى أمام المنازل في الأرياف . وفي الجانب الشرق من المسطبة يشاهد الباب الوهمي الذي اعتقد القوم أن الميت يخرج ويدخل منه . وإمام هذا الباب كانت تقدم

الفرابين على مائدة منخفضة من الحجر الجيري ، وكذلك كانت تلى الصلوات
ترجماً على المتوفى . وكثيراً ما حول هذا الباب الوهمى الى حجرة صغيرة بوضع
الباب الوهمى فى جدارها الخلفى . أما فى المصور المتأخرة فكانوا يشيدون
سلسلة حجرات من هذا النوع فى داخل المسطبة

وكانت جدران هذه الحجرات تغطى بالصور والنقوش كلها وجد الى ذلك
سبيل . والقاعدة أن هذه النقوش تتعاقب بالقهر أما الفرابين خاصة بالمتوفى .
الآن أن النقوش كانت تشتمل أحياناً على صور كل الأشياء التى كان يمرّها
المتوفى على الأرض ، وعلى كل الأعمال التى كان يبذل فيها ميلاً خاصاً وهو على
قيد الحياة . ولا مشاحة ان المصرى كان يخيل اليه ان كل هذه الأشياء
الرسومة تبقى بقوة السحر ، وان فى مقدور المتوفى أن يتجمع تتمماً قطعاً بكل
ما هو ممثل بالرسم على جدران حجرته . فهنا ترى كيف يجلس المتوفى على المائدة
صحبة أفراد أسرته غالباً وامامه الطعام والشراب بوفرة ، وليس عليه إلا أن
يسقط ذراعاً ويأخذ ما تشتهى نفسه . وكذلك يرى منقوشاً على الجدار
كشوف مطولة تشتمل على كل ضروريات الحياة كالخبز والكحك والتبنيذ
والجمعة واللحم والخضر والفاكهة وكل ما كانت تتطلبه نفس اى مصرى قديم .
وفى مناظر أخرى ترى الرجال والنسوة من الفلاحين يحملون كل أنواع
الطعام الى قبر المتوفى . أو ترى المتوفى نفسه يربب الصيد فى الصحراء أو
يحصص قطعان الماشية التى كان لولاً على بعض القرى أن تقدمها قرباناً
للوقت . وفى صور عدة ترى الضحايا ذاتها : ترى كيف تذبح الماشية
ويسلخ جلدها وكيف يقطع القصاب الحيوان لإرباً وهو يكبر ويهمل بألفاظ
منقوشة على الجدار ، وكيف يحمل الخدم أنفاذ الحيوان وأطيب أجزائها

نقوش القبر
وأهميتها

الى القبر . وبذلك يمثل أمامنا صفحة من حياة المصري بشكل حي واضح حتى أنه بعد مرور تلك الآلاف من السنين يتسنى للفرد الذى يمكنه مشاركة القوم في عواطفهم ومنزع روحه بروحهم ان يشعر بأعظم قوة وسرور من هذه المناظر

وفضلاً عن هذه الحجرة التى كان يسمح لأقارب المتوفى بدخولها ، كانت المساطب الضخمة البنيان تشتمل على حجرة لا يمكن الوصول اليها ، وهى ما يطلق عليه الآن اسم « سرداب » . وكان ينصب فيها تمثال المتوفى وبورقته وزوجته وأولاده غالباً ، وتعتبر الحجرة الخاصة للمتوفى فى بيته الأسمى . وكان يفصل السرداب عن الحجرة جدار ، وكثيراً ما كان يوصل بين الاثنين فتحة صغيرة ليتسنى للمتوفى أن يشترك فى القرابين التى كانت تقدم أمام الباب الوهمى ، ويسمع الصلوات تلى ، ويتنعم بغير البخور

وفضلاً عن الأهرام والمساطب التى أخذ يقلدها جم غفير من السكان فيما بعد بطريقة سبق شرحها ، ابتدع الفراعنة فى أواخر الدولة القديمة حوالى ٢٢٠٠ ق م شكلاً آخر من القبور يدعى هيبيجيم أو « القبر الصخرى » . حقاً قد نمت قبل ذلك الوقت فى عهد الدولة القديمة مقابر فى جوانب الجبال ، غير أنها الآن أخذت شكلاً معيناً ينطبق عليه وعلى معابد الالهة نموذج البيت العادى . فكانت المقبرة تشتمل أولاً على ساحة مكشوفة يتلوها ممر منحوت فى أصل الجبل يرتكز سقفه على عمد . ثم يتلو ذلك قاعة كبيرة منحوتة كذلك فى أصل الصخر ، ومحول سقفها على عمد أيضاً . ثم ينتهى القبر بحجرة صغيرة تشتمل على تمثال المتوفى . ولا شك أن من يذكر منكم تصميم المبنى المصرى يرى فى الجلال أن لا فرق مطلقاً فى الشكل بين « بيت الاله »

القبر
الصخرى

و «بيت المتوفى» . أما التابوت الذى يحتوى على الجثة فكان يوضع فى حجرة تحت الأرض يصل الانسان اليها يثرمن قاعة الممد

وقد حدث تغيير عظيم فى شكل مقابر الملوك فى أوائل الدولة الحديثة

فى مقابر الملوك ^{تشييد} حوالى عام ١٥٠٠ ق م . فقد كانت المادة المتبعة الى ذلك العهد أن يبنى

فرعون لنفسه ضريحاً هرمى الشكل قائماً بذاته فى وسط الجبانة . أما الآن

فقد أخذ فرعون يتخذ مشوى لموياه بفتح عدة حجرات فى جهة الجبل يصل

اليها الانسان بمر طوليل . وقد كان ارتفاع الصخرة نفسه يقوم مقام الكومة

للمأتمية (الهرم) التى كانت تقام فوق مضجع فرعون الأزل . ولم يمد الملك

يدفن وسط قبور رعاياه بل على مسافة فى واد منفرد من وديان سلسلة جبال

لويبا يكتنفه ضخور قاحلة جرداء . ولما كان هذا الوادى ضيقاً جداً صار من

التعذر بناء معبد للمتوفى أمام قبره ، ولذلك كان لزاماً فصل المبد عن المقبرة ،

فأصبح فرعون يشيد المبد فى السهل المجاور لهذا الوادى . وقد حفظت لنا ^{ممايد القبور} ^{الصخرية} الأيام الى عصرنا هذا هذه المقابر الصخرية الملكية وما الحق بها من الممايد

الى كانت أحياناً آية فى الفخامة والأبهة ، وهى قائمة على صفة النيل القريبة

على مقربة من طيبة حاضرة الدولة قديماً

ولا يبعد ان الممايد التى شيدها الملوك تخليداً لذكركم كانت تضارع فى

معداتها مممايد الالهة فى ذلك الحين . أما حجر قربان عامة الناس فيقلب

على الظن أنها لم تشتمل على معدّات تذكر ، فكان غاية ما تحتوى عليه هذه

الممايد الصغيرة (حجر القربان) من الأثاث ماثلدى قربان يقدم عليهما

طعام المتوفى ، وبضعة أباريق وأوان من الجرانيت تشتمل على الشراب المقرب . ^{معتبرات} ^{الممايد الصغيرة}

وأحياناً تشعب بضع مسلات صغيرة حجرية أمام الباب الوهمى تشبهاً

بالمسلات الضخمة التي كانت تقام أمام بوابات المعابد الكبيرة. أما الضريح نفسه، أي الحجرة المنحوتة في جوف الأرض وهي التي يضطجع فيها المتوفى، فكان أوفر من ذلك عدة وأبهى روتاً. إذ كان يكتنف الجثة في مخدعها عدد وفير من التحف، الفرض منها تخفيف مصاب الميت واعداد وسائل السعادة له في الحياة المقبلة.

وكانت الجثة تدفن في أقدم عصور التاريخ على هيئة القرفصاء، ويداعها موضوعتان على مقدمة الوجه. وكانت العادة المتبعة أن توضع رأس المتوفى في الجهة الشمالية، بحيث يولى وجهه شطر المشرق حتى يرى الشمس المشرقة. أما الجثة فكانت أحياناً تلف في نسيج من السكتان، أو توضع في تابوت ساذج من الخشب جرت العادة أن يترك في القبر بدون غطاء قط. وضع الجثة في القبر وعنتها وأما القرايين التي توضع مع المتوفى فكان القصد منها تفتيته. وتشتمل على ألبان من الجعة وأوان أخرى تحتوى الآن على رمال يحتمل أنه بقايا طعام عروق. وفضلاً عن ذلك كان القبر يشتمل على أوان حجرية فيها كل أنواع الدهان، وعلى أطباق رقيقة غريبة الشكل كان يستعملها المتوفى لوضع ألوان تجميل الوجه في آخرته كما كان يفعل في حياته. كذلك كان للمتوفى يسلم بكل أنواع الأسلحة ليدراً بها عن نفسه غائلة الأعداء، ويُمَد بالتماويذ للوقاية من شر الشياطين الرجيمة.

وفي عهد الدولة القديمة، أي في عصر بناء الأهرام، أخذت طريقة دفن المتوفى شكلاً آخر جديداً، فلم يعد يوضع الميت في قبره على شكل القرفصاء، بل أصبح يوضع على جانبه كأنه نائم. وفضلاً عن ذلك صار رأسه يوضع على وسادة. وكانت الجثة نفسها تُحفظ بكل عناية، فتحول بعد إجراءات طيبة

عدة الى مومياة ، وبذلك لا يخشى عليها من الانحلال والتلف . وكانت أحشاء الميت تنزع منه وتدفن في أوان خاصة ، يطلق عليها المورخون الآن أواني « كانوب » ويحرسها أربعة آلهة هم أولاد حوريس . وكان من واجب هذه الالهة أيضاً حفظ الجسم نفسه ووقايته من الجوع والعطش . لذلك كان غطاء كل من هذه الأواني الأربعة يمثل غالباً واحداً من هذه الآلهة وهي : رأس انسان ورأس قرد ورأس ابن آوى ورأس صقر

أحشاء الميت وأواني كانوب

أما الجثة نفسها فكانت توضع في ماء ملح وتعالج بالغار ثم تلف في أربطة من النسيج ، ويحشى الجوف الخالي من الأحشاء بلقائف من الكتان والقش . على ان طرق التحنيط كانت تختلف باختلاف المصور . روى هيردوتس أنها كانت في أيلمه لا تقل عن ثلاث طرق تمتاز الواحدة عن الأخرى على حسب الثمن الذي يدفع فيها . وهناك وصف أغلى هذه الطرق : توضع الجثة بين أيدي عنطين مهرة اختصوا بهذه الحرفة ، فينزعون أولاً النخاع المخي بواسطة خطاف من الحديد يرسل الى المخ من الأنخر ، وما تذكر انتزاعه من هذه المادة بهذه الكيفية يُستخرج بواسطة عقاقير كاوية . ثم تعمل فتحة في الجانب بآلة حادة من الطران ، وتنزع منها الأحشاء فتتظف ويصب عليها نبيذ البلح وتضمخ بكل أنواع البهار . أما البطن نفسها فكانت تقم بالمر وغيره من المواد ذات الرائحة الزكية ثم تخاط ثانية . ويترك الجسم بعدئذ مدة سبعين يوماً في محلول قوى من النثرون . وبعد انقضاء هذه المدة تغسل الجثة مرة أخرى وتلف في أربطة من الكتان وتدهن بالصمغ . وبهذه الكيفية تصبح عنطة تحنيطاً من الدرجة الأولى . ويحيل الى أيها القارئ أنك قد سمعت ما فيه الكفاية من طرق التحنيط . ولذلك استمحيك عذراً

الحنيط

في عدم وصف طريقتي التحنيط الآخرين كما رواهما هيرودوت
وكانت المومياء توضع عادة في صندوق من الخشب أو الحجر الأملس
السطح، على ظاهره غالباً بعدة أبواب وهمية يخرج منها الميت ويدخل ثانية
كما يشاهد ذلك في قبور الملوك في الأزمنة السحيقة جداً. كذلك كان يرسم
في طرف التابوت الذي فيه رأس المتوفى عينان أمام وجهه حتى يستطيع أن
يرى من تابوته ويشاهد الشمس المشرقة. وبمرور الزمن أصبحت جدران
التابوت الداخلية تنقش بنقوش خاصة بالحياة بعد الموت - (فصول من
التابوت
وتدريسه
متون الأهرام وكتاب الموتى). هذا فضلاً عن تصوير كل ما يمكن أن
يحتاج اليه الميت في آخرته. من ذلك تصوير أصناف الطعام والشراب بكمية
وافرة، كذلك الحلى والأسلحة والملابس والآلات الزينة والأحذية وغيرها.
ثم أصبحت التوابيت في العصور المتأخرة تصنع غالباً على هيئة مومياء بوجه
مكشوف وتحمل بأربطة كاذبة تنقش فيها بينها كتابات وأشكال آلهة الفرض
منها الحصول على سعادة المتوفى وراحته

ومنذ الدولة القديمة ازدادت القرايين للماتمة ازدياداً مضطرباً، وأحسن
مثال يدل على مقدار كثرة هذه القرايين الكثر الذي كشف في بداية القرن
العشرين في قبر أحد السكينة في مدافن منف، ويرجع تاريخه إلى عام ٢١٠٠ ق م،
ومحتوياته محفوظة الآن في متحف جامعة ليزيك، وهي: نموذج مخزن غلال
من الخشب يحاكي المخزن الحقيقي في كل صغيرة وكبيرة، وضع مع التوفى في
قبره ليأخذ منه ما يستعين به على الحياة في الآخرة. وهو عبارة عن حوش
مسور يصل إليه الانسان من بوابة ويشتمل على حجر الغلال، وفي وسط هذا
الحوش كانت تكال الغلال، ثم يحملها الخدم في حقائب، ثم يفرغونها في حجرات

محتويات
غير كفن

المخزن بواسطة فتحات خاصة . وفي خلال ذلك يسجل الكاتب وهو قاعد
الزفر فضاء على كشب عدد الحفائب . وبهذه الطريقة كان المتوفى يجهز نفسه
بالمواد النفل التي تقوم بحاجته في الحياة الآخرة . وكذلك كان منه نموذج
مطبخ لطهى طعامه ، تذبج فيه الحيوانات وتطهى وينجز فيه الميش وتصنع
الجمعة . وكان تحت تصرفه أيضاً أربع سفن صغيرة ، منها اثنتان تبحران
بالجاذيف واثنتان بالقلاع ، ويديرها جميعاً نواتى مصفرة ، وكان الفرض منها
أن يسبح فيها المتوفى فى المياه السامية الى حقول أهل النعيم . وكان لا بد
من استعمال النماذج أحياناً بدل الأشياء الحقيقية وبخاصة الأدوات الغالية
الثلث . فن هذه النماذج آلات نحاسية صغيرة وقوس سهام خشبية وكذا
وسادة وعلان من الخشب . هذا الى تمثال رجل وامرأة من الخشب الملون
تأخذ دقة صنعتها بمجامع القلب ، وهما يحملان أصناف الطعام الى المتوفى
- منها أوزة - ويقومان بخدمته . وكذلك وجد فى هذا القبر أسلحة
وعصى وأطباق خزفية وأباريق مفعمة بألوان المأكول وأنواع المشرب

غير أن حيلة المصرى لم تفته عند ما وصفته لكم من الأشياء التى
كانت تحفظ مع المتوفى . فقد كان يوضع فى قبره غالباً نماذج لبعول البحر
حتى يتسنى له صيدها فى آخرته كما كان مفرماً بذلك فى حياته . وكذلك كان
يحمل معه آلات الطرب ولعب التردد ليمتع بها ، ومراوح منقوشة بنقوش
بديعة ليروح بها عن نفسه فى قبره ، ثم تماثيل نسوة ليؤنسته كذلك . ومن
الغريب أن هذه التماثيل صنعت من غير أقدام حتى لا تفر من القبر . وكان
يوضع أحياناً مع المتوفى رأس آخر يحاكي رأسه مخافة أن ينزع منه الشياطين
رأسه الحقيقي فى الآخرة

دواعي
البرود
والأفسس فى
القبر

وقد أخذت التماويز والتماثيل المسحورة قلب دوراً هاماً في تحقيق سعادة المتوفى في الآخرة . وذلك أنه لما كانت أعمال الزراعة في حقول البردي غالباً شاقة على المتوفى ، ظن القدم أنه يمكن مساعدته بوضع تماثيل صغيرة معه في القبر لمعاونته في الحقل ، ولذلك كانت تحمل معها آلات الفلاحة اللازمة ، وقد كتب عليها اِمام اسم المتوفى واما تعويذة سحرية بواسطتها يدب فيها الحياة في الوقت المناسب فتقوم بأعباء العمل المنوط بالمتوفى

يذكر الفارسي أن قلب المتوفى على ما جاء في عقيدة متأخرة كان لابد أن يوزن أمام الإله أوزيرس . ولما كان القلب الحقيقي يتزعج من الجنة لما تقتضيه عملية التحنيط ، استعاض منه قلب صناعى من الحجر على هيئة جمل يوضع تحت أربطة المومياء . وكان يجب عن المتوفى في الحياة السفلى بواسطة تعويذة سحرية وهي : « أيها القلب الذى أملكه من أمى . أيها القلب الذى يتعلق بوجودى لا تقف شاهداً على (في قاعة الحكم أمام أوزيرس) لا تكن خصمى أمام القضاة ، لا تناقضنى أمام القائم بأمر اليزان . أنت روحى التى فى جسدى فلا تدنس اسمنا ولا تكذب على أمام الإله » وكان لديهم تيمة أخرى مصنوعة على هيئة عصا مقدسة وتعبد كالوثن

في مدينة بوصير (فى الدلتا) . والسرفها أنها كانت تمنع المتوفى من أن يطرد من دخول بوابة الغرب . وقد نقش عليها : فليقدم له الخبز والجمعة والكلمك واللحم الوفير على مائدة أوزيرس ، لأنه أصبح منتعصراً على أعدائه فى الحياة الأخرى انتصاراً ميبناً

وأخيراً يجب أن نذكر تيمة على هيئة عقدة مصنوعة من البشم الأحمر ، وكانت كثيرة الاستعمال وتعتبر رمز الإلهة أوزيرس . وقد اعتقدوا أن من طوق

الفرش من
التماثيل
الصغيرة
فى القبر

قلب الميت
والجمل

القام والسر
فيها

بها جيدة ومقته أزيز بين رعايتها ، وكذلك انشرح صدر هوريس عند رؤيتها . وفي رواية أخرى أنه كان لها سر آخر يماثل سر العصا المقدسة التي تكلمنا عنها آنفاً ، أي بواسطتها يستطيع المتوفي أن يقفوا أثر أزرير في عالم الأموات ، فتفتح له أبواب الآخرة ، ويقدم له الشمير والشوفان في حقول البردى (في السماء) ، ويصير كالالهة الذين ينمون هنالك

ولكنكف بالقدر الذي ذكرناه من التعاويذ التي كانت تنطلى بها المومياة في العصر الخالية ، كأنها مكسوة بدرع تدرا به عن نفسها ، وكان هدفها يبلغ أحياناً المائة

وغنى عن الذكر أن قوماً كالمصريين بذلوا مجهوداً عظيماً في بناء مقابرهم واعدادها ، كانوا يحتفلون حتماً في يوم الدفن وهو اليوم الذي كان يدخل فيه الراحل « عهده الأبدى » بطقوس ورسوم خاصة ، وإن لم يكن لدينا مصورات من كل عصور التاريخ المصري نستطيع أن نرى بواسطتها تلك الاحتفالات الماثمة وأرى العين

ففي المدن التي لم تكن فيها الحياة على الشاطئ ، الذي فيه المدينة كطيبة مثلاً ، كانت تنقل المومياة الى الشاطئ ، الغربي في زورق على بأحسن الزينة ، يتقدمه كاهن يرثي الصلوات المفروضة وينشر عير البخور . ويصحب المومياة أخدان المتوفي وأقرباؤه رجالاً ونساء ، يكون وينتحبون بأصوات عالية . وعندما ترسو الزوارق التي تحمل المومياة والمشييعين على الشاطئ ، الغربي يوضع التابوت على زحافة يجرها ثيران الى مدينة الأموات . وحينها يصل محفل المشيعين المحتشد الى باب القبر تؤخذ المومياة مرة ثانية من التابوت ، وتصب وافقة أمام الضريح يسندها كاهن ذو وجه مستعار يمثل

وصف
الاحتفال
بدفن الميت

وجه اتوبيس الله الجبانة . وفي الحين الذي يودع فيه الأهل واغلاان المتوفى
الوداع الأخير، كان الكهنة يتلون صلواتهم ويقدون الراحل لسفره الأخير .
وفي هذه الآونة كان يعمل طقس خاص يسمى فتح القم . وذلك ان يفتح قم فتح القم
المتوفى بواسطة خطاف وتلاوة تماويذ سحرية ، فتعود اليه خاصية استئصال
فيه سواء اكان ذلك في الكلام أم الأكل أم الشرب . وبعد الفراغ من ذلك
يحمل التابوت مشتلاً على المومياء الى فوهة القبر ويدلى بأحبال الى أعماق
الرمس حيث يلتقاء الدافنون

ولعمري اذا كان هذا مقدار المجهود الذي يبذل في دفن آدمي ، فما أعظم
ذلك المجهود اذا كان المتوفى «المأخيا» أي اذا اخترت المتوفى حيواناً مقدساً .
والظاهر أن قدماء المصريين من أقدم عصورهم خصصوا جبانات لدفن
الحيوانات المقدسة التي كانت تحفظ في المعابد ، مثل السجل أيبس والمجمل ^{دفن الحيوان}
منفيس وكبش منديس . فنلم أن المجمل أيبس مثلاً كان يحفظ كالإنسان
بالضبط وتشيع جنازته بأحتفال عظيم

وكانت عجول أيبس تدفن في مدافن خاصة في المصور الأولى ، فلما جاء
رئيس الثاني بجى لها مدفناً طاماً صار فيها يد كمية لازائرين . وهذه المقابر ^{السريرم}
تعرف بالسريرم ، وهي واقعة في الصحراء على كشب من سفارة . ولا تزال تلك
المدافن التي تحت الأرض بما تشتمل عليه من التوابيت الحجرية الضخمة
الهائلة موضع الإعجاب الى يومنا هذا

ولما أخذت عبادة الحيوان تزاد رسوخاً في البلاد ، وذلك قبل الميلاد
ببضعة قرون ، وصار تقديس الحيوان لا يقتصر على أفراد معينة بل يشمل
النوع كله ، اذ كان يُعتبر المظهر الذي يجلي فيه الإله الحقيقي ، أصبح دفن

مباتك
الحيوان
المقدس

حيواناته جميعها من الأعمال التي يستحق عليها فاعلها الثواب . وقد أقيمت مدافن عظيمة لهذا الغرض يشتمل الواحد منها أحياناً على مئات الموميات . فكان في بوسطة مثلاً جبانة عظيمة لاقطع التي عذبت هناك ، وفي منف مدافن عدة لملك العزير المقدس ، وفي أمبص (كوم أمبو) مدفن عظيم للتاسيح الكبيرة التي يختلف طولها من ٦ الى ١٠ أقدام ويحاط بها غيرها صغيرة جداً . على أنه في أحوال خاصة كان يدفن الحيوان المقدس في قبر خاص به ، ويوضع في تابوت وتنصب لوحة منقوشة على قبره . ومن الآثار القريبة في بابها من هذا النوع اللوحة الموجودة الآن بمتحف برلين ، وغرابتها تنحصر في أن ناصبها أغريق استوطن مصر . وقد أقيمت هذه اللوحة على جدث حية قتلها مجهول ونقش عليها بالأغريقية الركيكة العبارة الآتية :

أيها الغريب قف عند مفترق الطرق أمام الحبر العظيم وستجده مفعماً بالكتابة

انصت بصوت مرتفع ، أنا تلك الحية المقدسة الطويلة العمر التي قضت عليها يد شريرة جعلها من أهل الآخرة

ما الذي جنبت يا أشقي الناس يا غتيال حياتي ؟

سيكون نسلي ملكاً لك ولقبرتك ، فانك بقنلى لم تقتل مخلوقة تعيش على الأرض فريدة

فان نسلي الذي ينتشر على وجه البسيطة كمدح حب الرمال على شاطئ البحر لا شك سيفقد بك إلى جهنم ، ولكن ذلك يؤجل حتى ترى أولاً بعينى رأسك حتف ذريتك

لقد أشرنا على ختام هذا البحث ، بعد أن وصفنا لكم على سبيل الإيجاز نهضة الديانة المصرية وتدهورها ومعتقدات المصريين في شئون العالم الآخر وعبادتهم للآلهة والموتى

ويمثل بنا الآن قبل انتهاء كلامنا أن نعرض سؤالاً لا شك أنه عرض لكثير منكم لأنه يسنا ، وهو هل كان للديانة المصرية أى أثر خارج وادى النيل ، وهل كان لها تأثير محسوس في ديانات الأمم الأخرى لاسيما اليهودية والنصرانية وصقوة القول هل كان لديانة قدماء المصريين شأن خطير في تاريخ العالم ؟

تخطت الديانة المصرية في الألف الثاني قبل الميلاد حدود مصر ، وذلك أنه لما أغار المصريون بجيوشهم على السودان وتوغلوا بها في آسيا حتى أوردوها شواطئ القرات ، وأسسوا هناك دعاتهم اداوتهم ، وأقاموا غمار حامياتهم ، حلوا الديانة المصرية خارج مصر

معهم دياتهم الى تلك الأصقاع التى فتحوها . فى تلك البلاد النائية أقيمت معابد للآلهة المصرية وقدمت لها القرابين . بيد أنه لم يحدث قط أن أكره المصريون سكان البلاد المغلوبة ، سواه أكانوا من الزوج أم الاسيويين ، على نبد معبوداتهم الوطنية واعتناق ديانة الفاتحين ، اللهم الا أثناء الفترة القصيرة التى حكم فيها الملك الزائع المنحوب الرابع . بل أنهم على العكس أقروا للمغلوبين على دياتهم القومية ولم يتعرضوا لها .

وقد كان للقام الأول بين الآلهة التى عبدت في الأقطار الأجنبية محفوظاً بطبيعة الحال لب الآلهة امون رع معبود طيبة واه الدولة الحديثة . بيد أن الإلهين رع خوريس وفتاح الحارسين للمدينتين الكبيرتين الآخرين امم الله مصر في الملوك (جليوبوليس ومنفيس) لم يفقدا حظهما الخاص من الإجلال والاحترام . وكان هؤلاء الآلهة الثلاثة مظهراً أو رمزاً للدولة المصرية ؛ فكل ما يقدم لهم

من آيات الخشوع انما هو اقرار بسلطان مصر على الشعوب المقهورة واعتراف
بسيطرتها على البلاد المفتوحة . لهذا كان بدعة مستحدثة ما حصل من تقديم
فروض العبادة لذات الملك (الممثل الحى للسلطة المصرية) علاوة على آلهة
الدولة . حقاً أن المصريين اعتبروا فرعون منذ قديم الزمان مثلاً مجسداً لئله
« حوريس » أو « ابن إله الشمس » ، كما سموه باختصار « الإله الصالح » ، ولكن
لم يحصل قط أن فرعوناً كان أثناء حياته موضع إجلال وعبادة في مصر نفسها ،
ولم يوضع تمثال أى ملك من الملوك بجانب تمثال إله المدينة في أى معبد من
المعابد . وانما اجترأ القوم على هذه البدعة أولاً في البلاد الأجنبية أو بالحرى
بلاد النوبة ، اذ لم تنثر في آسيا على أثر يدل على تأليه القراعنة وهم أحياء . ففي بلاد
النوبة كانت تنشأ المعابد للملوك مصر وتقدم لهم القرايين في « قدس الأقداس » .
وفي أحد هياكل النوبة يرى فرعون متبوعاً عرش الألوهية بجانب امون وفتح
أوزير حوريس ، هدم لهم آيات الخشوع وشعائر التفتيس . وقد كان سكان
النوبة الزوج الذين كانوا في عهد الفتح المصرى لا يزالون يتخبطون في ظلمات
الحمية ، أشد الناس خارج مصر قبولاً واحتراماً للدينية المصرية على العموم ؛
فلم يلبثوا أن تحضروا وتمصروا تدريجاً ، وأحلوا الآلهة المصرية محل آلهتهم القومية
أو عبدوها بجانبها مصورة في هيئة مصرية . كل ذلك بلا منغط أو اكراه
خارجي من السلطات المصرية . وكان سلطان الكهنة على الأهلين في النوبة
أوسع وأقوى منه في مصر نفسها ؛ حتى أنه لما تكونت دولة منفصلة في أعالي
النيل مستقلة عن مصر وذلك حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م صار ملوك هذه الدولة
خاضعين كل الخشوع لسيطرة الكهنة ؛ فلم يكونوا يستطيعون القيام بأى عمل
أو المضي في أى مشروع الأبعد الحصول على رضا الآلهة أى الكهنة أنفسهم .

عبادة الملك
خارج مصر

النوبة أكثر
البلاد قبولاً
للدنية
المصرية

عظم تنوذ
الكهنة
في النوبة

يشهد بذلك ما قاله هيرودوت « كان الملوك يسرون الى ميدان القتال متى أمرهم زوس امون على لسان وحيه ويذهبون حيثما يوجههم ». وكان النوبيون القدماء أحرص من المصريين أنفسهم على تماثيل الطقوس الدينية لا سيما قوانين الأطلعمة . وبما يروى في هذا الصدد أن بمانخي ملك النوبة لما ذهب في حملة الى أسفل وادى النيل حوالي القرن الثامن قبل الميلاد لم يسمح لأمرأه تلك البلاد بالدخول عليه « لأنهم كانوا نجسين يأكلون السمك وهو رجس ممقوت في القصر »

لا غرابة إذن أن نرى النوبة في عصر انحطاط الديانة وقلمن نفوذ الكهنة في مصر أشد مصرية من المصريين أنفسهم ، كما لا بدع في أن الكهنة المصريين حينئذ كانوا يعتبرون بلاد الحبشة المرجع الصادق للديانة المصرية الصحيحة . ومن هنا يتضح لنا كيف وقع كتاب الاغريق في ذلك الخطأ ^{الخطأ} الشائع وهو اعتبار الحبشة مهد المدينة المصرية القديمة كلها . على أن الزمان لم يلبث أن دار دورته ، فاضمحلت الحضارة المصرية في بلاد النوبة ، كما تضائل شأن الديانة فيها . . ولعله لم يبق ثمة شيء مصري يذكر حينما أقيم الصليب في القرن الرابع الميلادي جنوبي جنادل اسوان

وفي عهد الدولة الحديثة أدخل المستعمرون المصريون عبادة إلههم القوي الأكبر « امون زع » الى واحات صحراء ليبيا الواقعة غربى وادى النيل ، وظل هذا الإله معبوداً هناك بعد أن سقطت زعامته على الالهة المصرية بمدة طويلة . وقد أقيمت لامون معابد في الواحات الخارجة والبحرية وهما البسمتان عند الرومان بالكبرى والصغرى ، ولكنها لم تبلغ من الشهرة وبعد الصيت ما بلغه معبده للقدس في واحة سيوه موطنه الخاص . وكان لامون في هذه الواحة أيضاً ^{عبادة آمون في الواحات ووجهه}

تمثال وحى مشهور على نسق وحى طيبة . وقد ذاع صيته سريعاً في أقطار ليبيا المجاورة ووصل الى سيرين حتى لقد بلغ بلاد اليونان . وقد عد هذا الوحى في عهد « سيرس » في القرن السادس قبل الميلاد من أصدق السنة النيب وأعظمها شأنًا في العالم القديم . بيد أنه لم يبلغ أوج شهرته ووقه مجده إلا في سنة ٣٣١ ق.م. وذلك لما قام الاسكندر الأكبر برحلته المشهورة خلال الصحراء ميمماً هذا الوحى ، لحياه كهنة امون الذى كان يمثل برأس كبش وجسم انسان بقلب « ابن الإله » وقد أثرت الحضارة المصرية وعظم نفوذها أيضاً في سورية وفلسطين حيث اقررت السلطة المصرية بالسيادة المطلقة فروعاً عدة أثناء الألف الثانى قبل الميلاد . بل ان العناصر المصرية زاحمت الفنون في سورية وامتزجت امتزاجاً غريباً بالعناصر البابلية الأقدم عهداً والتي كان لها حتى ذلك العهد المكانة الأولى . كذلك كان شأن المعتقدات الدينية المصرية فانها وجدت صدىً رجباً في المدن السورية التي احتلتها جيوش فرعون ، وشيد في أمكنة عدة معابد للآلهة المصرية . نذكر من ذلك على سبيل المثال المعبد الذى أقامه ومسيس الثالث في كنعان لإله الدولة امون . بيد أن الآلهة السورية « بعل » و « اشتاروت » لم تفقد مكانتها قط بهذه الاغارة الاجنبية ، بل على العكس كان لها من المصريين المستعمرين احترام واجلال . وهكذا لم ترسخ قدم الديانة المصرية في سوريا على ما يظهر ، ويحتمل أنه عند المسحاب آخر حامية منها انقطعت فجأة تلك القرابين التي كانت تقدم للآلهة المصرية .

اشتار المضارة
والهابة المصرية
في سوريا

هكذا كان مبلغ تأثير الديانة المصرية في البلاد المتمدنية الاجنبية . ولكنه يرجح أن تأثيرها في القرى الذين استوطنوا وادى النيل كان بطريقة مختلفة جداً ؛ فان هؤلاء الأجانب أينما ساروا أو حلوا في المدن أو الأرياف كانوا

تأثير الديانة
في القرى

حتمًا يخطئون بالكهنة المصريين ويحتكون بألهتهم ويقفون على أساليب عباداتهم التي تسير على قواعد ثابتة من أقدم عصور التاريخ .

وعلى ذكر الغرباء سينصرف ذهنكم في الحال كما انصرف ذهني الى بني اسرائيل الذين استوطنوا أرض غوش (وادي الطميلات) مدة طويلة على ما جاء في التوراة ، والذين نشأ بينهم العظيم موسى في كنف فرعون وتربى في حماه وتلقى الحكمة من افواه كهنته . على أني اذا تكلمت عن اقامة بني اسرائيل في مصر وبمشت في تأثير ديانة المصريين وحضارتهم في العبرانيين سأكون مضطراً لتقصير كلامي على الحقائق الضرورية فقط . وليس قصدى أن أثير مجادلة أخرى عن منفيس وموسى كالمجادلة عن بابل والانجيل وهي التي أفلقت بال كثير من الناس في المانيا وفي بلادكم أيضاً

يحدرنى أن ألاحظ أولاً أنه لم يرد في موضع ما من الآداب المصرية أى ذكر يوسف ^م إشارة لاقامة يوسف في مصر ، حتى لسم موسى نفسه لم يذكر في شيء من ^{وموسى في} الآداب المصرية ^{الآداب المصرية} الكتابات المصرية ، وهذا ما حمل كثيرين من محدثي المؤرخين على الشك فيما ورد في الانجيل من الحوادث التاريخية السببية وعدها من الخرافات . . يد اني لا ارى هذا الرأي البالغ في الالحاد . حقاً ان ما ورد من القصص في أسفار موسى مزخرف بكثير من التانيقات الدخيلة والخرافات التي لا تختص بها هذه الأسفار — وهنا أشير فقط الى قصة يوسف وامرأة العزيز وإلى ^{حوادث الانجيل} ^{التاريخية} رؤيا يوسف — ولكن أجزاء التوراة الأخرى الخاصة ببني اسرائيل في مصر تكشف لنا معلومات دقيقة عن حالات مصر القديمة ، هذا الى أنها تملأ فراغاً متسعاً من تقاليد بني اسرائيل الموروثة . فلك لا نجد سبباً لتفنيها بلا مناقشة أو اعتبارها غير تاريخية . على أنه من الصعب جداً تمييز الحقائق التاريخية من

الأساطير الواردة في سفر التكوين وخروج بني اسرائيل من مصر، فإن هذا ليس بأسهل من وضع جداول للحوادث التاريخية الواردة في قصة بناتجنيل (Nibelungenlied) بدون سابق معرفة لطبعة الأهم. وأرى أنه لا ينبغي أن نعتبر من الحقائق التاريخية غير أمرين هما إقامة بني اسرائيل في مصر ثم شخصية موسى. أما تعيين تواريخ إقامة بني اسرائيل وخروجهم من مصر فما لا سبيل اليه، وحسبنا أن نعتبر وقوع هذه الحوادث في النصف الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد.

لا نزاع في أن المصريين عند خروجهم من مصر حملوا معهم كثيراً من العادات والتقاليد المقتبسة من حضارة تلك البلاد. أليس «مين الآلهة التي أخرجت بني اسرائيل من مصر» ذلك العجل المقدس أو العجل الذهبي الذي عمت عبادته شواطئ النيل؟ أضف إلى ذلك أن اسم موسى المؤسس للديانة اليهودية يدلنا في الحال على ما كان بينه وبين الحضارة المصرية من وثيق الصلة؛ فإن ذلك الاسم مصري والجزء الأول منه «مس» ومعناه ابن، ونجد في كثير من أسماء الأشخاص في عصر الدولة الحديثة مركباً مع أسماء الآلهة، وذلك مثل «امين مس» ومعناه ابن امون، و«نحوت مس» ومعناه ابن الإله نحوت، أو «اصع مس» وهو الذي حُرِفَ في اليونانية إلى «اموسيس» و«اماسيس» ومعناه ابن القمر.

أثر الديانة
المصرية
في ديانة
بني اسرائيل

لهذه الاعتبارات كان من المرجح جداً أن تكون الديانة التي جاء بها موسى قد تأثرت بمعتقدات المصريين، كما أن شريعة بني اسرائيل وشعائر عبادتهم احتوت كثيراً من العناصر المصرية. فثلاً السفينة المقدسة الجديدة التي ذكرها موسى فإنها ليست إلا نموذجاً من السفن المصرية التي نجدها

في المقصورة التي كان يحفظ فيها تمثال الإله على ما وصفنا آنفاً. ولدينا
بدل السفن المقدسة التي كانت تستعمل في النيل عند قدماء المصريين تلك
السفينة التي استعملها بنو إسرائيل للعبادة في الصحراء. ويصعب علينا بلا شك
أن نذكر بالتفصيل مقدار ما بقي في ديانة بني إسرائيل من الآراء المصرية القديمة
بعد أن عصها الأنبياء. وينبغي أن أذكركم على الخصوص من فكرة عم
اعتقادها يوماً ما وهي أن التوحيد عند بني إسرائيل كان ارتداداً دينياً من كهنة عين
شمس، وأن التوحيد الساذج الذي نادى به المنحوب الرابع كان له تأثير في
ديانة بني إسرائيل؛ فإن هذا تخمين ضعيف ليس في تاريخ الديانات ما يساعد
عليه. ومن المرجح من جهة أخرى أن الفصول الشعرية من التوراة قد
اقتبست كثيراً من التعميرات المصرية، وإن أجزاء كاملة من الآداب العبرية
سواء الحكم والأمثال الشعرية قد أفرغت في قالب مصري. ولا يميز عن
بأننا أن نمة كثيراً من أوجه التشابه والتطابق بين الأناشيد البابلية والعبرية.
لهذا كان من الصعب جداً أن نقرر بالدقة مبلغ تأثير بابل ومنفيس في الآداب
العبرية. على أننا لا نشك في أن أحسن الأشعار الواردة في التوراة من أصل
عبري بحت. والظاهر فضلاً عما تقدم أن الديانة المصرية كانت ذات أثر بليغ
في التعاليم الإسرائيلية المتأخرة، وذلك في عهد الحكم اليوناني حين استوطنت
طوائف جمة من اليهود الاسكندرانية وغيرها من المدن المصرية

ولعل أم المعتقدات التي أخذتها اليهودية المتأخرة وبالتالي بعض طوائف
المسيحية عن مصر في ذلك الحين ما يتعلق منها بالعالم الأخرى. فلما إذا وجدنا
في المسيحية الأولى في الفصل الأخير من الانجيل ذكرًا لبوابة من الشبه للعالم
السفلي خطر ببالنا حتماً تلك البوابة النارية للعالم السفلي عند قدماء المصريين.

أم المعتقدات
التي أخذتها
اليهودية
والمسيحية
عن الديانة
المصرية

هذا الى أن اعتقاد اليهودية المتأخرة والمسيحية في البعث نشأ على ما يظهر من آراء خفية غريبة تذكرنا كثيراً بأراء المصريين في أوزيريس وعودته الى الحياة . وهناك أيضاً نرى الملك وكل فرد من بعده قد مائل للإله وحل به ما حل من تصرفات الخلدان . غير أنه من المؤكد أن الآراء المصرية ليست وعدها المصدر المشلول عن نشأة معتقدات اليهودية والنصرانية في العالم الأخرى . ومن المستحيل اليوم أن تفصل العناصر المصرية البحتة فيها

ويمكننا بأوضح من هذا أن نتبع تقدم وتأثير الآلهة المصرية في العالم اليوناني الروماني ؛ ففي القرن الثالث قبل الميلاد أدخلت صنوف العبادات المصرية في اليونان ، سيما الإله الجديد سرايس وطائفة الآلهة المتصلة بأوزيريس وهي أريس وابنها حوريوخراد « حوريس الطفل » وكذا أنويس . وقد وجدت هذه الآلهة طريقها من اليونان الى إيطاليا ورومية حيث بقيت مكاناً رجباً ومقاماً سهلاً . وقد اجتذبت هذه المناسك الخفية الأجنبية عقول عامة القوم ، وزادتم تعلقاً بها وحرصاً عليها انكار الحكومة لها مما جعلهم على مز والتها في الخفاء . واستمر الحال كذلك حتى أجز في النهاية بمد من عدة إقامة شعائر الديانات الأجنبية بين جدوان رومية وذلك في عهد « كراكالا » في مستهل القرن الثالث قبل الميلاد . وقد بنى الإمبراطور نفسه معبداً فخماً لسرايس على « اليكر نال » ، وأخذ الآلهة المصريون يمتلئون هناك دوراً هاماً في الحياة الدينية ، ولا أدل على ذلك مما أبداه المسيحيون فيها بمد من شدة اللقت وفرط الحقد في محاربتهم لهذه العبادات الوثنية

تأثير الديانة المصرية في الديانة اليونانية

سرايس في رومية

وقد تغلبت المسيحية في النهاية على الديانة المصرية كما تغلبت على اليونانية . ولكن الديانة المنتصرة احتفظت بآثار داخلية وخارجية من كل من

سأبقيتها . فلا بدح اذن أن تكون الديانة المصرية المكانة الخطيرة التي لها في تاريخ ديانات العالم

يقول «نيودور مومسن» : إن وضع تمثال مصرى بجانب التحف اليونانية يكون له من التأثير في النفس ما لحذاء العروس الذى لبسته في طفولتها اذا عرض يوم زفافها . واذا كان هذا التشابه حقيقة في التمثال كان كذلك في الديانة المصرية اذا قرناها بالفلسفة اليونانية أو الديانة المسيحية . على أن ما وصلنا اليه من البحث في المتنون المصرية يدلنا على أن ديانة القوم لم يكن فيها أسرار عميقة ، وأنه لم ينطق فيها بكلمة الحكمة الأخيرة كما تخيل علماء اليونان وقتئذ ما . ولن تكون تماثيل الآلهة المصرية ذات الرموز الحيرانية والرموز الغريبة مألوفة لنا كما ألفتنا الهة ألمبس ، رفقاء شبابنا . ولكننا مع ذلك نجد بين تماثيل الديانة المصرية وطفوسها تياراً فياضاً من الديانة الصادقة له من القوة ما به يتغلب على قوى القول الراجحة . وأرجو أن أكون قد وقفت الى تفهيمكم ما فيه الكفاية بما سمعتموه منى . وأختتم بكلمات « جيتى » الخالدة . « الله هو الشرق ، الله هو الغرب »

كشف لمراجعة صور ما في الكتاب من الالهة وغيرها

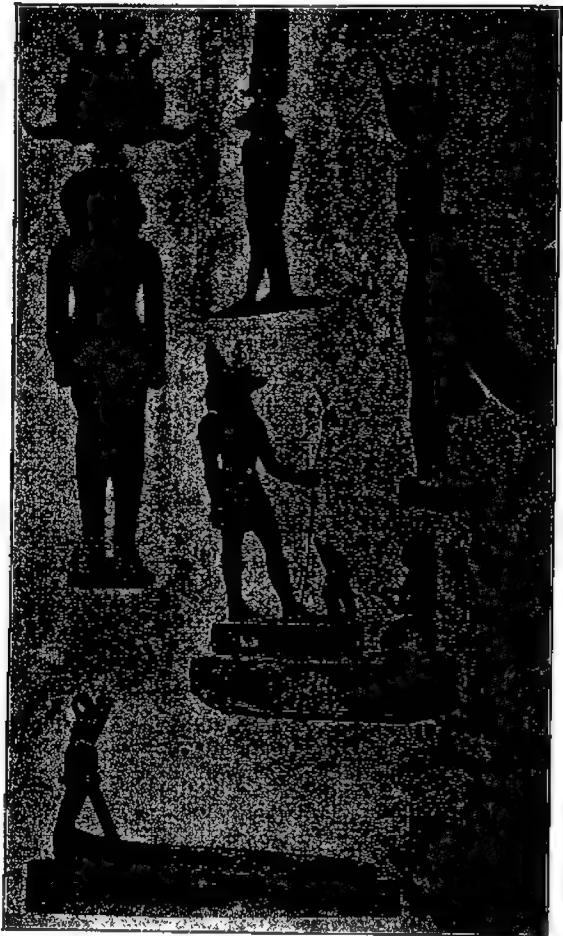
الاسم	الصفحة	رقم الصورة	أهم المواضع التي ذكر فيها
أوزير توضع حوريس	١٣٢	١	صفحة ٢٨
المبود يس	>	٢	١٦
الاله حريو خراد	>	٣	٥٦
للمبودة حانخور	>	٤	٣٩٤٣٠٤١٨٤١٧٤١٠٤١٤
أوزير بين أخته . (أوزير ، تكتيس)	>	٥	١٠٠٤٣٧٤٢٠٤٢٤
المبودة نيت	>	٦	٢٨
> سفت	١٣٣	١	٤٣٤٢٣٤١٩٤١٨٤١٠٤١٤
المبود فتاح	>	٢	١٢١٦٥٠٧٤٥٠٤٢٣٨٤٢٣٦١٤
> نفتم	>	٣	٢٣
الميل أيس (يكتفه أوزير ، وتكتيس)	>	٤	١٢٦٤١١٩٤٥٨٤٢٠
أوزير في شكل حانخور	>	٥	أنظر الكلام على حانخور
المبودة بنت (الفظه)	>	٦	١٢٠٤٧٠٤٥٦٤٤٣
> غفس	>	٧	٤٦٤٧٣
أوزير المجلعة	١٣٤	١	٨٦٤٨٥
المبود حيك (التماح)	>	٢	١١٩٩٢١٦١٩٥١٧٤١٤
حوريس على رأس التاج	>	٣	أنظر الكلام على حوريس
المبود أنويس (ابن آوى)	>	٤	٥٦
> اتم	>	٥	٥٣٤٣٩٤٣٧٤٣٣٤٣٢
المبودة نيت	١٣٥	١	٣٩٤١٤
أحموت الحكيم	>	٢	٥٧
الاله شو	>	٣	أنظر الكلام على شو ص ٢٥ الخ
ثالث المرأة المدفونة (أوزير ، أوزير ، حوريس)	>	٤	٨٠
الاله حوريس	١٣٦	١	١٢١٦٤٣٧٤٢٤٤٢١٤١٧٤١٦٤١٤



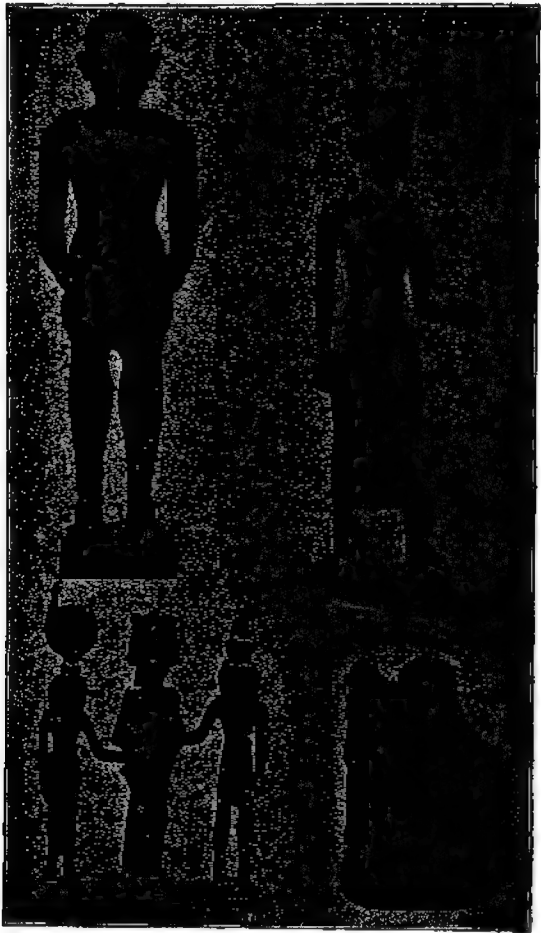
(۱) از ریش ترشح حوریس (۲) المبود « پس » (۳) المبود سر و غراد
(۴) المبوده حاکمور (۵) از ریش بین اختیه از ریش و عقیس (۶) المبوده تپه



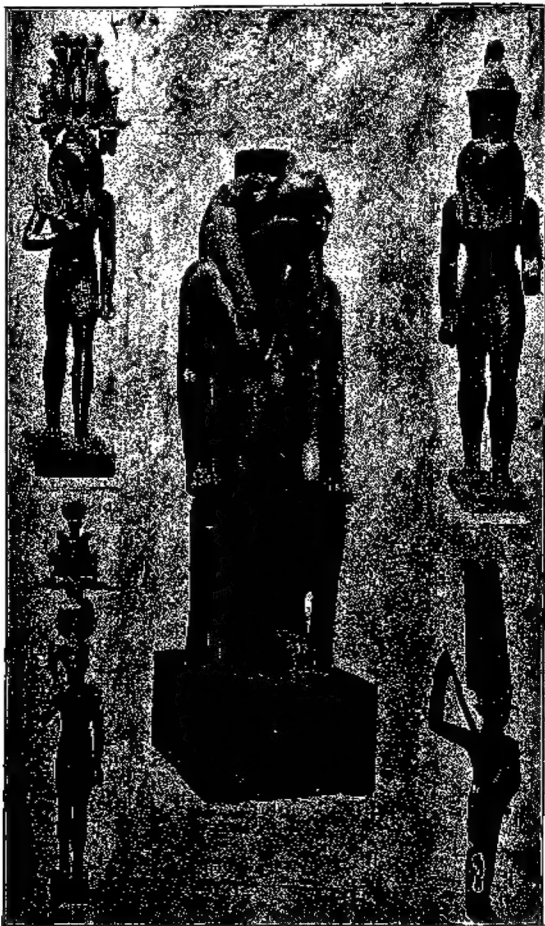
(١) الالهة سمكت (٢) المبود تاج (٣) المبود قرتم (٤) المبدل ايس يكتفه ازيس وتيتيس
(٥) المبوده ازيس في شكل حاكمور (٦) المبوده يكت اي اللطه (٧) المبود غلس



(١) اوزير الممثلة (٢) المعبود سبك أي التلاح (٣) حوريس لاهيا التاج
(٤) المعبود اوزير (ابن اوزير) (٥) المعبود ام



(١) الالهة نيت (٢) امحوتب الحكيم (٣) الاله شو (٤) التالوث (أوزيريس وحوريس وإيزيس)



(۱) الاله حوريس (۲) الالهة تواريت (۳) الميود حوريس (پهنت) آى اخنو
(۴) الميود د من « (۵) الميود حوريس لاهنآ تاج آيه ازديس

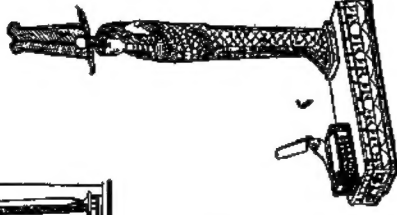
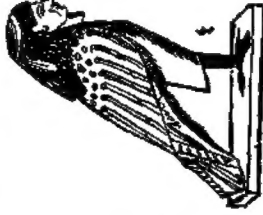
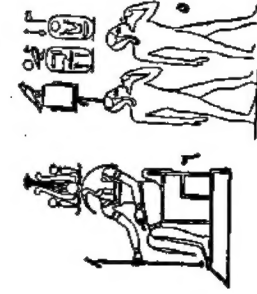
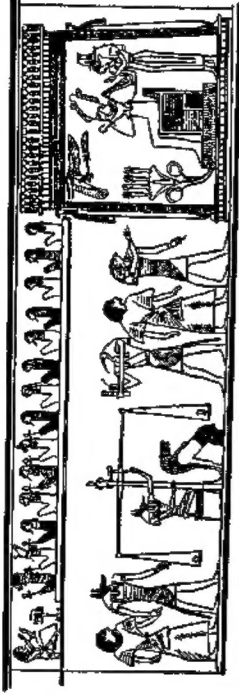


(٢) الآلهة سوتخ (ست)
(٤) الآلهة الأعظم أولون وج عاجبا على الأسمى

(١) لوحة تمثل عبادة العجل متفيس
(٣) إلهة العدل « ممت »



(١) اختاتون وزوجه يبدلان قرص الشمس (أتون) (٢) الكيش منديس (٣) رمز الويس
(٤) الإله شو يستنوت وعمل ظهرها زورق الشمس وتحت رجلها الإله جب (٥) الإله النيل



(٣) الميود وبيوت

(١) الآلهة تحوت

(٢) فلاح سوكريس اذريس على صندوق من البردي

(٥) امصوتب الثالث وقرينه (السكا)

(١) قامة العدل أو هرم الخشب

(٤) الروح